الغـــزو الفكـــري
حقيقتـــه وطرقـــه

دكتور/ مجدي عبد الغفار حبيب

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المساعد

بكلية الدعوة وأصول الدين بالقاهرة – جامعة الأزهر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره علي الـدين كلـه، فقال تعالى:

(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَـوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)

(التوبة:٣٣).

والصلاة والسلام علي المبعوث بالهدى ودين الحق، الذي انتهت إليه أصول الرسالات السماوية جميعا، فهو ليس بدعا من الرسل.

أما بعد

فإن التيارات الفكرية، والحركات والدعوات المعاصرة، تشكل غزوا فكريا، وتيارا جارفا.يزحف علي المجتمعات الإنسانية في مكـر وخبـث ودهـاء.ليـشغل الإنسانية عن عجلة الحياة، ويصرفها بما هو بعيد عنها.

ولكم عانت المجتمعات الإسلامية من مثل هذه التيـارات الهدامـة حيـث صرفت الناس عن المواكبة العلمية، والفهم الصحيح لمبادئ الإسلام وحقائقه.

وجدير بالذكر أن هذا الغزو الفكري يعمل بكل ما يملك من إمكانات ماديـة ومعنوية علي غزو الأمة الإسلامية، غزوا يفتتها، ويضعف مـن تقـدمها، ويقيـد حركتها، ويصرفها عن الواقع المحيط بها.

ولكم عانت الإنسانية، من أولئك الذين يصنعون (الغزو الفكري) ويصدرونه في موجات تقتحم الديار والبيوت، حتى تساقطت أمم وشعوب في هاوية الفساد، علي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حين تراقص السذج والجهال علي نغم إيقاعها، وفتنوا بمظاهر هذه التيارات الخداعة، ووجهاتها البراقة.

ومما لا يخفى علي عاقل: أن الأمم، تسعد، وتشقى، وتقوى، وتضعف، وتصح، وتمرض، وهي بحاجة إلي من يأخذ بيدها ويعالجها إذا هوت وسقطت، وانتابها من الجهل والظلام ما أفقدها مناعتها، وأضعف قواها، ولا يوجد منهج يتناول بالعناية والرعاية، النفس البشرية، كالمنهج الإسلامي، لأنه يغرس في النفس إيمانا يخط مسارها، ويضع علاجها، ويحول بينها وبين دواعي الفساد، بما يوفر من قيم إيجابية فعالة، تعالج ما قد تصاب به النفس الإنسانية من علل وانحرافات.

وإن الباحث المدقق لعلي يقين بأن ما تعانيه الأمة الإسلامية من هزائم فكرية، وسياسية، واقتصادية، واجتماعية، هو نتيجة حتمية لانهزام الشخصية الإسلامية.

ومن ثم لا يخفى علي كل ذي لب: أن أخطر ما تتعرض له المجتمعات الإسلامية هو هدم الشخصية الإسلامية هدما عقديا، وسلوكيا، وثقافيا.

إن الأمة الإسلامية كانت ومازالت هدفا ثمينا لهذا الغزو الفكري، الذي يعمل علي إذابة المجتمعات، وانسلاخها عن عقائدها، وتراثها، وحضارتها، حتى تصبح مسخا شائها تابعا لغيره،مقلدا له تقليدا أعمى، يؤمر فيطيع ..

ولهذا جاء هذا الجهد المتواضع ليضيف مع ما سبقه من أبحاث وكتب إطلاله جديدة علي أسباب الغزو الفكري وأهدافه وطرقه، عسى أن تتنبه الأمة الإسلامية للأخطار الفكرية، والتيارات الهدامة التي تحدق بها، وأن تتبصر المواقع، وتتعرف علي طريق الصواب.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد قسمت هذا البحث علي النحو التالي:

المبحث الأول : الغزو الفكري التعريف والأهداف

وفيه عدة مطالب:

المطلب الأول : المدلول اللغوي والمفهوم الاصطلاحي.

المطلب الثاني : أخطار الغزو الفكري.

المطلب الثالث : أهداف الغزو الفكري.

المبحث الثاني : أسباب الغزو الفكري.

المبحث الثالث : طرق الغزو الفكري

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول : الاستعمار

المطلب الثاني : العلمانية

المطلب الثالث : القومية

المطلب الرابع : الماسونية

والله ولي التوفيق

المؤلف

د /مجدي عبد الغفار حبيب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الأول

الغزو الفكري التعريف والأهداف

المطلب الأول

مفهوم الغزو الفكري

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بداية أقف عند مصطلح (الغزو الفكري) حيث قد تردد في العصر الحاضر كثيرا علي ألسنة الكتاب، والباحثين، والمتحدثين، وإن وقفة استقرائية تكشف في وضوح:

كون هذا المصطلح مستحدثا، لم يسمع به قبل القرن الرابع عشر الهجري. (العشرين الميلادي). ولكن ليس معني عدم وجوده كمصطلح، أو عدم استخدامه، قبل القرن الرابع عشر الهجري أنه ليس موجودا لأن معناه ومفهومه، وموضوعه بالاستقراء لأحوال الأمم والشعوب، نجد أنه كان موجودا في القديم، كما هو موجود في الحديث ..

المدلول اللغوي لكلمة الغزو:

قال في لسان العرب:(مادة غزا): غزا الشيء غزوا، أراده وطلبه، والغزوة ـ بالكسر ـ ما غزي وطلب، ومغزى الكلام مقصده، وعرفت ما يغزى من هذا الكلام: أي ما يراد منه، والغزو: القصد. فهي في اللغة العربية تعطي معني:القصد، والطلب،والإرادة، ومعرفة ما يراد والسير إلي قتال الأعداء، في ديارهم،وانتهابهم، وقهرهم والتغلب عليهم[1].

أما في الاصطلاح: فإن مصطلح الغزو الفكري بهذا التركيب الإضافي: مصطلح معاصر يعني البحث عن كيفية تأثر المسلمين بأفكار وخطط أعدائهم التي تضاد الشريعة الإسلامية، وتسعي للقضاء عليها، ولتحلل المسلمين منها ذاتيا دون استخدام القوة المباشرة.

---

(١) انظر: لسان العرب مادة (غزا) وانظر منجد الطلاب للبستاني ص ٥١٩ ط بيروت دار المشرق ومختار الصحاح للرازي ص ٤٧٤ ط بيروت مكتبة الهلال.وانظر معجم لغة الفقهاء.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

و يقصد بالغزو الفكري: (إغارة الأعداء علي أمة من الأمم، بأسلحة معينة، وأساليب مختلفة، لتدمير قواها الداخلية،وعزائمها ومقوماتها، وانتهاب كل ما تملك[٢]

الفرق بين الغزو الفكري والغزو العسكري:

إن الغزو العسكري يأتي للقهر وتحقيق أهداف استعمارية، دون رغبة الشعوب المستعمرة، أما الغزو الفكري فهو لتصفية العقول، والأفهام، لتكون تابعة للغازي[٣]

إن أسلوب الغزو الفكري يفوق بعشرات المراحل أسلوب الغزو العسكري وذلك لأن من أوصافه وسماته ما يأتي:[٤]

١- الخداع:

فالعدو من خلال هذا الغزو لا يقف أمامك عيانا بيانا؛ بل هو متخف يأتيك في صورة مقال جذاب، أو كتاب بغلاف براق، أو برنامج إذاعي أو تلفزيوني، أو فيلم أو مسلسل، بل إنه قد يأتيك من أبناء جلدتك ووطنك بل ودينك أحيانا.

٢- الخطورة:

الغزو الفكري أخطر بكثير من الغزو العسكري لأنه عميق التأثير في الشعوب المغزوة، إذ يمتد تأثيره عشرات بل مئات السنين أحيانا، والشعب الذي يحارب بالغزو الفكري يتصرف بمحض اقتناعه هو كما يريد الغازي بلا تعب ولا

---

(٢) الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية د/ توفيق الواعي ص ٦٨٠ ط دار الوفاء.المنصورة س ١٤٠٨ هـ.القاهرة.

(٣) المرجع السابق ص٦٨٠

(٤) احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام د- سعد الدين صالح ص٤٢-٤٣ ط دار الأرقم الزقازيق.س ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مجهود، فهو بمثابة القنبلة التلفزيونية التي يطلقها الجندي من مكانه ويوجهها حيث شاء فتصيب الهدف وهو جالس في مكانه.

٣- البساطة:

والغزو الفكري سهل وبسيط وأقل تكلفة من الغزو العسكري الذي يكلف كثيرا من الدماء والطاقات.(٥)

العلاقة بين المدلول ا للغوي والمفهوم الاصطلاحي:

إن هناك صلة وثيقة بين المدلول اللغوي والمفهوم الاصطلاحي، حيث إن كلمة الغزو استعملت في معناها، وهي الإغارة علي أمة من الأمم للاعتداء عليها، وانتهابها، ولكن عن طريق الفكر وتدمير القوي المفكرة فيها، وهذا ما لفتت إليه كلمة الفكر، التي تطابق معناها في العربية، معناها في المصطلح(٦).

ويمكن أن يقال أيضا إن المصطلح استعار كلمة الغزو للفكر، لما بينها وبين الغزو في الحرب من علاقة، في نهب الشعوب وتدميرها، والسيطرة عليها.

أو أن مصطلح (الغزو) مجاز علي التشبيه بالحرب الفعلية، في التدمير، والتخريب، والانتهاب، والسيطرة علي الشعوب .

ولهذا شاع استعمال هذا المصطلح، وأضرابه من المصطلحات، التي تدل علي هذا المعني، وتسير في فلكه(٧).

---

(٥) انظر: الإسلام والتيارات المعاصرة د/ عبد المعطي بيومي، د/ محمد الشاعر ص ١٣٥

(٦) الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ص٦٨١

(٧) المرجع السابق ص ٦٨١ بتصرف

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الغزو الفكري وهم أم حقيقة:

إن بعض الكتاب والباحثين ينكرون وجود (الغـزو الفكـري) ،معتبـرين الحديث عنه مجرد وهم من الأوهام

وهؤلاء العلماء إنما ينطلقون من تصورهم لعالم اليوم باعتباره رغم الحدود الدولية السياسية، والحواجز الجغرافية، وبسبب من التقدم الهائل في (ثورة الاتصال) وطنا واحدا لحاضرة واحدة، يسمونها (حضارة العصر) أو (الحضارة العالميـة) أو (الحضارة الإنسانية) ويتصورون الأمم، والشعوب، والقوميـات، مجـرد درجـات ومستويات في البناء الواحد، لهذه الحضارة الواحدة.

ومن ثم فليس في هذا التصور حدود- لها حرمة الحـدود- تميـز أوطانـا متعددة، لحضارة متميزة.. ولهذا فإن عبور الفكر-كل الفكر- للحدود ليس فيه عندهم شبهة (غزو) ولا أثر (عدوان)[٨].

وهذا التصور يروج له المروجون بطرق شتي، وأسـاليب متعـددة، مـرة بدعوى (فكر عالمي) ومرة بدعوى أن الحضارة الحديثـة (حـضارة عالميـة) أو أن(الثقافة ثقافة عالمية) ،وهكذا إلي أخر الدعاوى المزعومة .

فحركة البابية والبهائية التي نشأت سنة ١٦٢٠ هـ /١٨٤٤ م[٩]، تحـت رعاية الاستعمار الروسي، واليهودية الصهيونية، بهدف إفساد العقيـدة الإسـلامية،

---

(٨) المرجع السابق ص ٦٨١ بتصرف

(٩) أسسها الميرزا علي محمـد رضـا الـشيرازي (١٢٣٥-١٢٦٦هـ) (١٨١٩-١٨٥٠م) والميرزا يحي علي أخو البهاء وكان يلقب بصبح أزل. أنظر: الموسـوعة الميـسرة فـي الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة جـ١ صـ٤١٢-٤١٨. الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتفكيك وحدة المسلمين وصرفهم عن قضاياهم الأساسية، تزعم أنها جاءت بدين عالمي جمع البوذية، والبرهمية،والزرادشتية،والمانوية، والمزدكية، والفرق الباطنية، واليهودية، والنصرانية، والدهرية وهذه الدعوة تجد رواجا (١٠).

وهناك من العلماء، والمفكرين، من ينكرون أن يكون عالم اليوم، وطنا حضاريا واحدا؛ لحضارة عالمية واحدة.وهؤلاء العلماء يدعون إلي ضرورة احترام الحدود الحضارية ٠٠ لأن العالم في تصورهم: هو أقرب ما يكون إلي(منتدى عالمي لحضارات متميزة) تشترك أممها في عضوية هذا المنتدى، ومن ثم فإن بينها ما هو (مشترك حضاري عام) ٠٠وأيضا فإن هذه الأمم تتمايز حضاريا ٠٠ الأمر الذي ينفي الوحدة الحضارية، ويستدعي الحفاظ علي الهويات الحضارية المتميزة ٠٠لا لمجرد، الحفاظ عليها – رغم أهميتها – إنما لأسباب وطنية، وقومية، وعقدية، تلعب دورها في إنهاض أمم كثيرة، من كبوتها وتراجعها، لما لهذه الخصوصيات، من قدرات علي شحن شعوب هذه الأمم، بالكبرياء المشروع، والطاقات المحركة، في معركة الإبداع ٠٠ ولما للتعددية من دور في إثراء مصادر العطاء العالمي(١١).

وهؤلاء الباحثون والعلماء الذين ينكرون عالم اليوم وطنا حضاريا واحدا، لحضارة عالمية واحدة، يذهبون إلي أن التعددية الحضارية، تكشف وتعري، روح

=إشراف وتخطيط ومراجعة د / مانع بن حماد الجهني الطبعة الثالثة طـ دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

(١٠) انظر: المرجع السابق ج ١ ص ٤١٢ –٤١٥ .

(١١) انظر الغزو الفكري وهم أم حقيقة ص ٧ طـ الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف. ١٩٨٨م ٠وانظر في الغزو الفكري د/ أحمد السايح صـ ٣٥ –٤١ كتاب الأمة العدد ٣٨ شعبان ١٤١٤هـ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الهيمنة، والعدوان، والاستعلاء، التي تخفيها الحضارة المتغلبة، علي عالمنا المعاصر وهي الحضارة الغربية، تحت ستار: (وحدانيتها ..وعالميتها .. وإنسانيتها) .

كما أن هذه التعددية تقوم بدور فعال، في إذكاء روح المقاومة، عند الأمم المستضعفة حضاريا، ضد السمات والقسمات التي مثلت وتمثل: (مأزق الحضارة الغربية) الذي يمسك اليوم بخناق إنسانيتها، وذلك حتى لا تعم مأساته كل بني الإنسان[١٢] .

هؤلاء العلماء يعترفون بوجود: (الغزو الفكري) ويحذرون من أثاره ومخاطره التي تعددت، وتكاد تحيط بالمجتمعات الإسلامية ..

وهؤلاء العلماء: يرفضون دعوى (الوطن الحضاري الواحد لعالمنا المعاصر) ودعوى (الحضارة العالمية الواحدة) لهذا الوطن الواحد، ويقدمون بديلا لها: دعوى أن عالمنا هو أقرب ما يكون إلي (منتدى عالمي لحضارات متميزة) وأن الأمم المستضعفة حضاريا، لابد لها من النضال الحضاري، ضد نزعة التفرد، والهيمنة، التي تمارسها الحضارة الغربية المتغلبة – بالاستعمار القديم والجديد – علي غيرها من الحضارات .. فالتعددية لا الواحدية، هي الحقيقة الممثلة للواقع الحضاري، في الواقع الذي نعيش عليه .ومن ثم فإن هناك حالات تعدي (الحدود الحضارية).تمثل (غزوا فكريا) لاشك فيه[١٣] .

وباستقراء واقع حياة الأمم والشعوب يتضح صواب هذا التصور، فالذين يعايشون حياة الشعوب، والأمم ذات الحضارات العريقة، والتاريخ القديم، والتراث الثري، والذين يغوصون في تراث هذه الشعوب والأمم وفي فلسفتها، وتقاليدها،

---

(١٢) المرجع السابق ص ٧

(١٣) انظر المرجع السابق ص ٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومذاهبها، وأعرافها .. يدركون أن عالمنا به- حقا- أمم متعددة، تتميز كل أمة منها بشخصيتها الحضارية والقومية المتميزة وإننا إذا نظرنا في مذاهب هذه الأمم وأعرافها، وفي معايير الحلال والحرام، والمشروع والممنوع لدى أبنائها، وفي موازين الأسواق والحاسة الجمالية، وفي تصوراتها لمكان الإنسان من الكون، وتصوراتها لمصيره بعد الموت، وتصوراتها الفلسفية لهذا الكون، وما وراء المادة والطبيعة .. إذا نحن نظرنا إلي مذاهب هذه الأمم، في هذه القضايا الأمهات، أدركنا السمات التي تمايز بينها – جنبا إلي جنب – مع سمات تشترك فيها فتجمع بينها(١٤)

ولا يخفى أن الباحث الذي يسير أغوار المواريث الفكرية لهذه الأمم، ويتتبع خيوط هذا التمايز الحضاري، إلي حيث تضرب بجذورها في أعمق أعماق التاريخ .. حيث كان البابليون، والآشوريون، والفينقيون، والمصريون، وغيرهم ممن أسهموا في الفكر الإنساني، كان لهم تمايز حضاري(١٥).

وبنظرة فاحصة متأنية إلي أمم مثل الهند، والصين، واليابان، ستصل بالباحث إلي معرفة حقيقة هذا التمايز الذي يظهر جليا في الشخصيات القومية، والمواريث الحضارية، وطرائق العيش، والفلسفة، ونظرتهم إلي الكون وتصورهم له، هذا التمايز ملحوظ لدى شعوب وأمم هذه الحضارات .. وكذلك الحال إذا نحن تأملنا الحضارة الغربية، منذ اليونان، وحتى نهضتها الحديثة .. والحضارة الإسلامية منذ تبلورها كثمرة لاندماج هذه المواريث القديمة للشعوب التي دخلت الإسلام – بعد الإحياء لهذه المواريث – كثمرة لاندماج هذه المواريث في الفكر

---

(١٤) المرجع السابق ص ٨-٩.

(١٥) أضواء علي الحضارة الإسلامية د/ أحمد السايح ص ٧٨ ط دار اللواء بالرياض س ١٤٠١ هـ س ١٩٨١ م .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإسلامي، الذي استصفاها وطورها وفقا لمعاييره[١٦]. حيث لم يكن المسلمون مجرد نقلة، ولكن إضافاتهم للأصول التي نقلوا عنها، تشهد بأنهم زادوا، وابتكروا، لأنهم كانوا ينظرون بعين إلي الثقافة اليونانية، وبالعين الأخرى إلي التعاليم الإسلامية[١٧].

علي أن الذي ينبغي ملاحظته والتأمل فيه: (أن التصور الذي يرى العالم وطنا واحدا لا غزو لفكر فيه، تصور يقوم علي انتصار الحضارة الغربية المتغلبة، التي تعمل علي مسخ الحضارات العريقة ٠

إذن لابد من التصور، الذي يقوم علي أن الفكر حين يتأمل فيه، علي المستوى الإنساني، يلاحظ في هذا الفكر: (ما هو مشترك إنساني عام) لا يختص بحضارة بذاتها، وفي هذا الفكر أيضا ما يتميز بالخصوصية والاختصاص ٠

والتميز في الفكر، بين ما هو مشترك إنساني، وبين ما هو خصوصية حضارية، إنما تحكمه وتحدده معايير موضوعية ٠

فكل العلوم التي موضوعها الطبيعة وظواهرها، والمادة وخصائصها، هي من قبيل الفكر، الذي هو مشترك إنساني عام، وذلك لأن مناهجها تتميز بالحياد العلمي، ولأن التجربة الملموسة بالحواس المادية، هي السبيل لاكتشاف حقائق هذه العلوم، تلك الحقائق التي بنت الدليل، والتي لا تختلف باختلاف مذاهب، وعقائد، وأجناس، وفلسفات المكتشفين ٠

ومن ثم فهي لا تتغاير بتغاير القوميات، والحضارات، بل هي واحدة علي المستوي الإنساني، كما أن موضوعاتها المادة وظواهرها واحدة هي الأخرى، لا

---

(١٦) انظر الغزو الفكري وهم أم حقيقة ص٩ مرجع سابق.

(١٧) انظر الحضارة الإسلامية والحضارة الأوربية د / توفيق الطويل ص ١٥١ ط مكتبة التراث الإسلامي مصر س ١٩٩٠ م

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تختلف ولا تتغاير باختلاف وتغاير الحضارات. فعلوم مثل الرياضيات بفروعها، ومثل الكمياء، والطبيعة، والطب، والجولوجيا، لم ولن تختلف مناهجها وحقائقها، وقوانينها باختلاف الحضارات .. قد تتمايز وظائف استخدام قوانينها ونظرياتها ومكتشفاتها.لكن حقائق علومها، أي (فكرها العالمي) سيظل واحدا، مهما اختلفت المذاهب والعقائد، والحضارات[١٨].والعقل البشري استطاع بما اكتسب من خبرة، ودربة، ومرانة، أن يصنف هذه العلوم، وأن يحكم مابينها من وسائج، وأن يستفيد بما بينها من صلات، وروابط .

والنتائج العلمية متصل بعضها ببعض.ويعتمد بعضها علي بعض.ولهذا كانت الحضارات الإنسانية، ليست ملكا لأمة بعينها. ولاهي وقف علي جماعة من الناس، لأنها صرح هائل قد أسهمت فيه كل أمة بنصيب[١٩].

ويلحق بهذه المنظومة من حقائق العلوم الطبيعية الخاصة بدراسة المادة، ودراسة ظواهرها وأسرارها، علي نحو ما، وإلي حد كبير، العديد من ثمرات التجارب الإنسانية في شتى الأنظمة، والوسائل، والخبرات، والمؤسسات التي ترشد أداء الإنسانية، وهي تسعي إلي تحقيق غاياتها ومقاصدها .

فعلي الرغم من تمايز المقاصد والغايات والمثل، فإن تجارب الإنسان في الوسائل، والمؤسسات، والنظم، قد تكون صالحة في معظم الأحيان للاستلهام، والتمثل، والاقتباس.

هذا عن العلوم الطبيعة، والتجارب المادية، التي تمثل حقائقها وخبراتها فكرا عالميا، هو من صميم المشترك الإنساني .

---

(١٨) الغزو الفكري وهم أم حقيقة ص ١٦ بتصرف .

(١٩) انظر أضواء علي الحضارة الإسلامية ص ٩٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما الشق الآخر من الفكر، الذي يدخل في صميم الخصوصية الحضارية، التي تتمايز بتمايز الحضارات، فهو ذلك الذي ينطلق من العقائد والمذاهب والفلسفات

فكما تميزت علوم (المادة) الثابتة بالعالمية، فغدت حقائقها، وقوانينها (مشتركا إنسانيا عاما).تميزت، وتتميز علوم العقائد، والمذاهب، والفلسفات، بالخصوصية الحضارية، التي تجعلها وثيقة الصلة بطبائع الأمم، ومعتقدات الشعوب، وطرائقها في الحياة[٢٠].

وخلاصة القول: إن العلوم الطبيعة، والعلوم التي تجري بالتجربة الملموسة بالحواس المادية، والتي لا تختلف باختلاف المذاهب، والعقائد، والأجناس والفلسفات، ولا تتغير بتغاير القوميات، والحضارات.يوجد فيها ما هو مشترك إنساني عام لا يختص بحضارة بذاتها، وفي هذا الفكر أيضا ما يتميز بالخصوصية والاختصاص ٠

والتميز في الفكر، بين ما هو مشترك إنساني، وبين ما هو خصوصية حضارية إنما تحكمه وتحدده معايير موضوعية٠

---

(٢٠) الغزو الفكري وهم أم حقيقة ص ١٧-١٨ ٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المطلب الثاني

خطورة الغزو الفكري

تبين مما سبق عرضه: أن هناك (غزو فكري) مقصود، وأن هذه حقيقة لا وهم، وأن خطر هذا الغزو ظاهر لأنه يعمل علي إذابة الشعوب، وانسلاخها عن عقائدها، وحضارتها، ومذاهبها، حتى تصبح مسخا شائها تابعا لغيره، مقلدا تقليدا أعمى، يؤمر فيطيع ..

ولقد عمل الغزو الفكري علي خداع المجتمعات البشرية، وتضليلها، والتمويه عليها، وتشويه الحقيقة، وقلب الحقائق، وتزيين السوء حتى يُرى حسنا، وذلك عن طريق تصنيع الكلمة، وزخرفة القول، والدخول إلي المخاطب من نقطة الضعف، والاستغفال لإغرائه، والإيقاع به، والإيحاء إليه بسلامة الفكرة، وصحة المفهوم المزيف الذي تحمله كلمات الغزو الفكري .

وكم من شعوب وأمم وأجيال تهاوت، وتساقطت في هاوية التيه والضلال، والزيغ والانحراف، والفساد الخلقي، والعقدي، والاجتماعي، بسبب التصورات المزخرفة البراقة الخداعة (للغزو الفكري) التي يرقص الجهال والسذج علي نغم إيقاعها، ويفتنون بسماعها، ويسحرون بظاهرها البراق .

(ولكم عانت الإنسانية والشعوب من أولئك الذين يصنعون الغزو الفكري، ويصدرونه في موجات، تقتحم الديار والبيوت، لقد قادت الإنسانية إلي هاوية الضلال، والانحراف.ولقد كان (للغزو الفكري) في كل جيل، وفي كل عصر دوره التخريبي، في حياة الناس، إلا أن البشرية لم تشهد في مرحلة من مراحل حياتها وضعا كان فيه (للغزو الفكري) خبراء، ومتفلسفون وأجهزة، ومؤسسات، كعصرنا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحاضر هذا، الذي اتخذ فيه (الغزو الفكري) صبغة الفلسفة، والنظرية، والمبدأ، الذي يعتنقه الأتباع، ويدافعون عنه، وينقادون له ..

وقضية الغزو الفكري، أصبحت اليوم، من أشد القضايا خطرا، وتبدو ظواهر هذا الغزو المدمر، في قلوب وعقول كثير من المثقفين، في هذا العصر واضحة بينة، والسلاح الذي يستعمله (الغزو الفكري) مدمر قتال، يؤثر في الأمم والمجتمعات، أكثر مما يؤثر المدفع والصاروخ والطائرة، وقد ينزل إلي الميدان، ويعظم خطره، حين تخفق وسائل الحديد والنار، في تحقيق الهدف، والوصول إلي الغاية، والخطر الذي يحتجنه هذا الغزو أكثر بكثير من قتل الأفراد، بل من قتل جيل بأسره.إذ يتعدى ذلك إلي قتل أجيال متعاقبة، والسلاح الذي يستعمله هذا الغزو هو سلاح الحيلة والشبهات وتحريف الكلم، والخديعة، في العرض(٢١).

ومما لاشك فيه أنه لم تواجه رسالة من الرسالات السماوية، ولا شريعة من الشرائع، بمثل ما واجهت الشريعة الإسلامية منذ بزوغ فجره، تحديات عنيفة من مخالفيه، فقد واجه المشركين والوثنين في مكة المكرمة، واليهود في المدينة المنورة، ثم لما فتحت الأمصار، وانتشر الإسلام فيها واجهت الثقافة الإسلامية أفكارا شعوبية إلحادية، وفلسفات وثنية، كالفلسفات الفارسية، واليونانية، والهندية، وسائر الفلسفات الأخرى.ولكن الإسلام ثبت أمام هذه التحديات، وانتصر عليها.فقد كان المجتمع الإسلامي آنذاك يعي الإسلام وعيا كاملا، ويدرك مدى الأخطار التي كان يدسها الفلاسفة والزنادقة من خلال أفكارهم واتجاهاتهم وما يثرونه من شبهات، وهي في جملتها تعمل علي نقل الفكر، من مجال أصالة الفطرة، ومنطق العقل الصحيح، وطريق التوحيد، وطابع الإيمان، إلي مجال الإلحاد والإباحية، غير أن مجتمع

---

(٢١) انظر المسلمون أمام تحديات الغزو الفكري: إبراهيم نعمة ص ٧ ط شركة معمل ومطبعة الزهراء الحديثة المحدودة العراق س ١٩٨٦ م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإسلام تصدى لمثل هؤلاء، وأخذ يكشف زيغهم وضلالهم، وبين ما انطوت عليه قلوبهم من كيد، ولم تستطع أن تنال من الإسلام وشريعته عبر العصور والأجيال .

علي أن من أخطر هذه التحديات هي تلك التي تواجهها المجتمعات الإسلامية اليوم، وهي تحديات تتمثل بالمواجهة السافرة حينا والمستترة أحيانا، هذا التحدي الذي يتمثل حاليا بالغزو الفكري الغر[٢٢] .

إن الغزو الفكري أخطر ألف مرة من الغزو العسكري وذلك للأسباب الآتية:[٢٣]

أولا: أن طبيعة الدور الريادي المنوط بأمتنا ــ كما حدده القرآن الكريم ــ يقوم علي العمل لتحرير البشر من عبادة كل الطواغيت إلي عبادة الحق سبحانه، سواء تمثلت هذه الطواغيت في السلطان المستبد، أو في الضعف البشري تجاه متع الحياة الدنيا ' أو الخضوع لنزوات النفس البشرية الأمارة بالسوء، أو الالتصاق بالعنصر الطيني الهابط في طبيعة الإنسان.. وكما قال سبحانه:كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّه.....)

(آل عمران: من الآية ١١٠)

ومن المحال أن يبلغ المسلم هذه المكانة التي أشارت إليها الآية الكريمة إلا إذا كان علي منزلة رفيعة من التفوق بالإيمان بالله وبالالتزام الكامل فكرا وسلوكا

---

(٢٢) انظر في ذلك نظرات في الثقافة الإسلامية / عز الدين الخطيب وآخرين ص ٣١ بتصرف.ط دار الفرقان عمان س ١٤٠٤ ه س ١٩٨٤ م الأردن .

(٢٣) الغزو الفكري أهدافه ووسائله د/ عبد الصبور مرزوق صـ٩ ــ ١١ بتصرف. الطبعة الثالثة ط/ رابطة العالم الإسلامي. إدارة الصحافة والنشر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بخصائص التصور الإسلامي للكون والحياة.. وهذا ما لا يحدث مطلقا مع وجود التخريب الذي يصنعه الغزو في العقول والقلوب..

ثانيا: إن بلوغ المنزلة الربانية المشار إليها يتطلب قدرا غير عادي من الاستعلاء علي الحياة الدنيا بكل ما فيها بحيث لا تطرف عين المجاهد المسلم كل مغرياتها، ويكون حسبه منها ــ حقيقة ــ لقيمات يقمن صلبه ويتعين بهن علي مواصلة دوره الكبير وعلي متابعة رحلته إلي النعيم الدائم الذي ينشده في أخراه..

وعندئذ لا تخيفه قوة الأقوياء مهما عظمت لاستناده إلي قوى الخالق الأعظم، ولا يرهبه الموت في سبيل الله مهما كان طعمه مرا، لأنه معبره الكريم إلي التكريم والخلود.. ولا تهتز نفسه أمام مغريات الدنيا لأنه يراها فانية..

وكل هذه المعاني يستحيل أن تقوم بالنفس إذا أغرقها غزاة الفكر في طوفان المتاع الحرام وفي حمأة التخاذل والضعف والانحلال..

ثالثا: إن نجاح أمتنا في أداء دورها يستوجب أن تتوفر لأبنائها طبيعة ــ غير عادية أيضا ــ في إيجابيتها الدائمة في رفض كل سلوك منحرف، والعمل علي تصحيح المواقف دائما وتعديلها نحو الحق والعدالة والخير... كما يدل عليه دائما ــ وببساطة ــ تقديم الأمر بالمعروف ــ وهو عمل إيجابي ــ علي النهي عن المنكر في جميع الآيات الكريمة التي وردت في هذا الموضوع في الكتاب الكريم..

ولنا في الآية التي أدانت قبول أي من أتباع ديننا العظيم لموقف من مواقف الاستخذاء في مواجهة الباطل واعتباره من الظالمين الذين مأواهم جهنم وذلك في قول الحق سبحانه:

.(إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً) (النساء:٩٧)

ومثله النهي القرآني الصريح عن الوهن وتضعض النفوس في مواجهة أي محنة بسبب انتصار يحرزه المبطلون، والوعد الصريح بعلو أهل الإيمان دائما مهما وعرت الطريق وذلك في قول الحق سبحانه مؤكدا سنته في إحقاق الحق وإزهاق الباطل: (وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينإِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) (آل عمران: ١٣٩:١٤٠) .

فهذا الصمود الشامخ إيمانا بالقيم القرآنية الرفيعة واستشهادا في سبيلها لا يمكن بلوغه متى أمكن للغزاة تخريب النفوس من الداخل وإفقاد المسلمين أهليتهم للنهوض بدورهم الريادي..

ثم إن نجاح الغزو الفكري للعقول والقلوب المسلمة، معناه الإجهاز نهائيا وبطريقة ماكرة علي كل أثر يمكن أن يصنعه الإسلام في حياة الفرد أو حياة الأمة. وذلك أقصى ما يطمح الغزاة إليه.. لأنهم يدركون سلفا مدى استمساك المسلم بدينه واستحالة تخليه عنه، ومن ثم فهم يكتفون من نتائج الغزو الفكري بأن يشلوا فاعلية الإسلام في حياة المسلم، ويتركوه في الحال التعسة.. لا هو مسلم ولا هو غير مسلم، لأن نتيجة الحسبة ستكون لصالحهم في كل الأحوال..

كما ذكرت من مقولات في مبحث التنصير التنصير لزويمر المنصر وغيره تدل علي ذلك.(٢٤)

---

(٢٤) انظر للمؤلف التنصير أهدافه ووسائله بين القديم والجديد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المطلب الثالث

أهداف الغزو الفكري

إن أخطر أسواق المنتجات سوق الأفكار، لأنه أكثر الأسواق تقبلا للتزييف والإفساد والتضليل، ومن ثم حفلت أسواقنا، بما هو أشد فتكا من السموم وأوسع انتشارا من الهواء، يتخلل كل خلية وينخر في كل عمار وبناء.أفكار مصدرة إلينا ترتدي أثوابا براقة، أو تحمل شعارات خداعة، أو ترفع مشاعل ليست إلا قناعا يستر الخطر والزيف والتضليل ٠

إن الغزو الفكري الذي اجتاح العالم الإسلامي والمكمل لأساليب الغزو التقليدية حينا والبديل عنها أو عن بعضها في بعض الأحيان إن هذا الغزو حقيقته تهدف إلي:(٢٥)

١ــ أن تظل الشعوب الضعيفة أو النامية خاضعة لنفوذ القوي المعادية لها، تلك القوي التي تتمثل في عدد محدود من الدول الكبيرة التي يحمي بعضها بعضا، ويتبادل ساستها الدفاع عن المصالح التي تهم أي طرف من أطرافها، بغض النظر عما يبدو علي السطح في بعض الأحيان من خلافات، إذ الحق أنها خلافات قشرية لا تتجاوز السطح بحال.

٢ ــ أن تظل بلدان العالم الإسلامي خصوصا والعالم النامي عموما تابعة لتلك الدول الكبيرة المتقدمة تبعية غير منظورة، وفي هذه التبعية يكمن دهاء تلك الدول المتبوعة وذكاؤها، فليس أقتل للشعوب من أن تحس بالحرية

---

(٢٥) انظر الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام د/ علي عبد الحليم محمود صـــ ٨-١٠ بتصرف طـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية س ١٤٠٤ هـ - س ١٩٨٤ م

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والاستقلال بينما هي ترسف في قيود الذل والتبعية، إن ذلك مقتلة ذريعة لكل ما يجب أن تفكر فيه الدول الضعيفة لتقوي، وليس أضيع لمستقبل أمة من الأمم أن تعجز عن أن تخطط لمستقبلها ومصيرها إلا وهي دائرة في فلك دولة كبيرة واهمة ذاهلة عن حقيقة ما تعانيه من تبعية.

٣ ــ أن تتبنى أمة من الأمم – وبخاصة الأمة الإسلامية – معتقدات وأفكارا لأمة أخري من الأمم الكبيرة – وهي غير إسلامية دائما – دون نظر فاحص وتأمل دقيق لما يترتب علي ذلك التبني من ضياع لحاضر الأمة الإسلامية -في أي قطر من أقطارها – وتبديد لمستقبلها، فضلا عما فيه من صرفها عن منهجها وكتابها وسنة رسولها، وما يترتب علي هذا الصرف من ضياع أي ضياع، إذ لا يوجد مذهب سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي يغني الأمة الإسلامية عن منهجها الإلهي، ونظامها الشامل المتكامل في كل زمان ومكان.

٤ــ أن تتخذ أمة من الأمم – وبخاصة الأمة الإسلامية – مناهج التربية والتعليم لدولة من هذه الدول الكبيرة، فتطبقها علي أبنائها وأجيالها، فتشوه بذلك فكرهم وتمسخ عقولهم، وتخرج بهم إلي الحياة وقد أجادوا بتطبيق هذه المناهج عليهم شيئا واحدا هو تبعيتهم لأصحاب تلك المناهج الغازية أولا، ثم يلبس الأمر عليهم بعد ذلك فيحسبون أنهم بذلك علي الصواب، ثم يجادلون عما حسبوه صوابا ويدعون إليه، وهم بذلك يؤكدون تبعيتهم من جانب آخر، فيعيشون الحياة وليس لهم منها إلا حظ الأتباع والأذناب .

٥ ــ أن يحول العدو بين أمة من الأمم – وبخاصة الأمة الإسلامية – وبين تاريخها وماضيها وسير الصالحين من أسلافها، ليحل محل ذلك تاريخ تلك الدول الكبيرة الغازية وسير أعلامها وقادتها، فيشب المثقف من أبناء تلك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأمة المقهورة وليس في نفسه مثل إلا ما يقرأ عنه في تاريخ الدولة الغازية، وليس في خلده أبطال إلا أبطالها ولا مفكرون إلا مفكروها، بل يصبح وهو لا يعرف من الحق والباطل إلا ما رأته هذه الأمة الغازية حقا أو باطلا، فتشوه بذلك رؤيته الحقة للناس والأشياء ويذهل عن تاريخه وسير الصالحين من أسلافه، ويذهل عن حاضره ومستقبله ويضل عن معالم طريقه.

٦ـ أن تزاحم لغة الغالب لغة المغلوب، فضلا عن أن تحل محلها أو تحاربها بإحياء اللهجات العامية أو الإقليمية، وما دام الإنسان لا يفكر إلا باللغة ... فإن إضعاف لغة أمة هو إضعاف لفكرها .. وإجبار للأمة المغلوبة علي أن تفكر كما تفكر الأمة الغالبة .

٧ـ أن تسود الأمة المغزوة أخلاق الأمة الغازية وعادتها وتقاليدها، ومادامت الأخلاق السائدة في أمة من الأمم هي المعيار الدقيق الذي تقاس به هذه الأمة فإن هذه الأخلاق يجب أن تكون نابعة من القيم الأصيلة التي تسود الأمة وتحكم سلوكها وتوجهه، فإذا ما استوردت أمة من الأمم أخلاقها وقيمها من أمة أخري مسخت بذلك شخصيتها وتنكرت لأصالتها وعاشت تابعة ذليلة للأمة التي قلدت أخلاقها وخسرت من مستقبل أجيالها ما يزيدها اقترابا من أصالتها ووجدت نفسها أمام التبعية والضياع[٢٦]

٨ـ تصوير تراث الأمة الإسلامية بصورة التخلف، وعدم قدرته علي إمداد الحضارة المعاصرة بشيء مفيد ونافع، والادعاء بأنه لم يكن له فضل على

---

(٢٦) انظر المرجع السابق بتصرف ص ١٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ما جاء بعده من حضارات، حتى أوجدوا في الأمة الإسلامية من أبنائها من ينأون بجانبهم عن كل موروث، لا لشيء إلا لأنه قديم [٢٧].

٩ــ إحياء الجوانب الضعيفة في التراث الإسلامي خاصة فيما يتعلق بالخلافات السياسية التي وقعت بين المسلمين أنفسهم، والتركيز علي دعوات الحركات الباطنية، وإخراجها بصورة جميلة مضيئة، ووصف هذه الدعوات بأنها كانت تحمل فكرا عاليا، وفلسفة عميقة[٢٨] .

١٠ــ إضعاف مثل الإسلام وقيمه العليا من جانب، وإثبات تفوق المثل الغربية وعظمتها من جانب آخر، وإظهار أي دعوة للتمسك بالإسلام بمظهر الرجعية والتأخر .

١١ــ تشكيك المسلمين بقيمة تراثهم الحضاري، بدعوى أن الحضارة الإسلامية منقولة عن حضارة الرومان، ونظمهم مقتبسة من الفرس وعلومهم وفلسفتهم منقولة عن اليونان، وحضارتهم خليط مركب مأخوذ من الأمم السابقة، ولم يكن العرب والمسلمون إلا نقلة لفلسفة تلك الحضارة وآثارها[٢٩] .

---

(٢٧) انظر (في الغزو الفكري) د أحمد عبد الرحيم السايح ص ٧٧ كتاب الأمة رقم ٣٨ س ١٤١٤ هـ وانظر الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة د يوسف القرضاوي ص ٦١-٦٤ ط مكتبة وهبة ط أولي س ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م

(٢٨) (في الغزو الفكري) ص ٧٧ نقلا عن (المسلمون أمام تحديات الغزو الفكري) إبراهيم نعمة ص ٣٠

(٢٩) في الغزو الفكري ص ٧٧ نقلا عن شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي / أ.أنور الجندي ص ١٨ وانظر الثقافة العربية والإسلامية بين الأصالة والمعاصرة ص ١٢٣ بتصرف .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٢ـ إضعاف روح الإخاء الإسلامي بين المسلمين في مختلف أقطارهم عن طريق إحياء القوميات التي كانت لهم قبل الإسلام.وإثارة الخلافات والنعرات بين شعوبهم[٣٠] .

١٣ـ اقتلاع العقيدة الإسلامية من قلوب المسلمين، وصرفهم عن التمسك بالإسلام نظاما وسلوكا .

١٤ـ تفريغ العقل والقلب من القيم الأساسية، المستمدة من الإيمان بالله. ودفع هذه القلوب عارية أمام عاصفة هوجاء تحمل معها السموم عن طريق الصحافة والمسرح والفيلم والأزياء والملابس[٣١].

١٥ -الحيلولة دون تصدير مباديء الإسلام الحق إلي العالم الغربي، وذلك لأنهم علي يقين أن الدين الإسلامي في مثاليته وفي واقعيته، هو الذي يتفق والفطرة الإنسانية السليمة التي فطر الله تعالي الناس عليها قال تعالي: (فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) (الروم: من الآية٣٠)

---

(٣٠) انظر ما سبق من مراجع نفس الصفحات .

(٣١) في الغزو الفكري ص ٧٧- ٧٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثاني

أسباب الغزو الفكري

أما عن أسباب الغزو الفكري:

فكما أن للغزو الفكري أهدافا سبق الحديث عنها، فكذلك له أسباب متعـددة تضح من خلال ما يأتي:-

أولا: الفتوحات الإسلامية:

إن الفتوحات الإسلامية سطع نورها علي أوربا حيث أشاعت الخير والنور في أوربا، وأخرجت المجتمعات الأوربية من ظلمات الجهل والضلال إلي نور العلم والمعرفة، وحملت معها السلام والتقدم والحضاري، ولو لا هذه الفتوحات ما وصلت أوربا إلي ما وصلت إليه اليوم من التقدم العلمي والازدهار الحضاري.

لقد امتد المد الإسلامي حتى طرق أبواب فيينا، وتجـاوز جنـوب فرنـسا وجنوب ايطاليا، وجزر البحر الأبيض ٠٠ وأطبق من شرق أوربا ومن غربها٠يقول (تولستوى): أحد الكتاب الروس معربا عن الإعجاب بالإسلام ومتحدثا عن المسيحية حيث أنكر عليهم اعتقادهم بألوهية المسيح، موضحا أن بولس لم يفهم تعاليم المسيح بل طمسها، وأن الكنيسة زادت تعاليم العقيدة غموضا فيقول: (إن المسيحين واليهود والمسلمين يعتقدون بالوحي الإلهي.فالمسلمون يعتقدون بنبوة موسى وعيسي، ولكنهم يعتقدون كما أعتقد بأنه دخل التحريف والتشويه علي كتب الديانتين وهم يعتقدون بأن محمدا – ﷺ خاتم الأنبياء وأنه أوضح في القـرآن تعـاليم موسـى وعيـسى٠٠٠ ويتحدث عن الرسول محمد – ﷺ – حديث الإكبار والتعظيم، حيث قال: (لا ريـب أن هذا النبي من كبار الرجال المصلحين الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويكفيه فخرا أنه هدي أمة برمتها إلي نور الحق وجعلها تجنح للسلام وتكف عن سفك الدماء، وتقديم الضحايا ويكفيه فخرا أنه فتح طريق الرقي والتقدم، وهذا عمل عظيم لا يفوز به إلا شخص ذو قوة وحنكة، ورجل مثله جدير بالاحترام والإجلال.وقد كان جزاؤه علي كلمة الحق هذه أن حرمه البابا من الرحمة (٣٢) .

فالفتوحات الإسلامية كانت فتوح علم ورحمة وهدى، دعت الإنسانية إلي الإيمان بخالقها وحررتها من عبوديتها لغيره.كما حررتها من سلطان الجهل والأوهام وظلم الإنسان، وردتها إلي سلطان العلم وعدل الإسلام، فتحرر أهل البلاد المفتوحة، في أبدانهم وفي نفوسهم وعقولهم(٣٣).

فلم تكن حركة الفتوح الإسلامية حركة تطويق وإذلال ومصادرة للأفكار، لأن دعوة الإسلام لا تعرف الاضطهاد لغير المسلمين، وإنما دعوة تقوم علي الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن قال تعالي: (**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**) (النحل:١٢٥) .

وقال تعالي:(**وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**) (العنكبوت:٤٦)

ويشهد التاريخ، وكل عالم منصف حر . لقد عاش النصارى في ظل الخلافة الإسلامية حياة آمنة طيبة لهم حقوقهم الدينية كاملة أفضل من إخوانهم الذين عاشوا في ظل الدولة المسيحية سواء أكان في الشرق أم في الغرب.ولا يغيب عنا ما

---

(٣٢) التبشير والاستشراق أحقاد وأطماع ص ٢٨ –٢٩ .

(٣٣) الإسلام وخرافة السيف د / عبد الودود شلبي ص ٢٥٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سطرته المصادر الإسلامية باهتمام ولاة الأمة الإسلامية بأهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومن بين الذين شهدوا للإسلام بذلك (جوستاف لبون فقد قال: (إن القوة لم تكن عاملا في انتشار القرآن، فقد ترك العرب الفاتحون المغلوبين أحرارا في أديانهم، فإذا حدث أن اعتنق بعض النصارى الإسلام واتخذوا العربية لغة لهم، فذلك لما رأوه من عدالة الغالبين ولما لمسوه في الإسلام من سهولة ويسر لم يعرفوها من قبل، ولم ينتشر الإسلام بالسيف وإنما بالدعوة وحدها[٣٤] .

إن المنصفين من علماء الغرب الدارسين للتاريخ، ليعرفون حق المعرفة أن السلطة الإسلامية هي أول سلطة في تاريخ البشرية اعترفت بحق رعاياها في اعتناق ما يخالف الإسلام، الدين الرسمي للدولة أو دين السلطة الحاكمة، وهذا تاريخ الإسلام الممتد عبر أربعة عشر قرنا يشهد شهادة واقع أن الدولة الإسلامية لم تعدم أو تعذب أحد رعاياها بسبب معتقداته، وإنما يكون ذلك لأسباب سياسية أو للصراع على السلطة والحكم

ثانيا: الحقد الصليبي علي الإسلام: .

يدرك الباحثون أن أوربا اكتشفت الفكر الإسلامي،في مرحلتين من مراحل تاريخها، فكانت مرحلة القرون الوسطى حيث أقبل بعض الأوربيين على دراسة الفكر الإسلامي، بهدف الكيد للإسلام والمسلمين، فحاول هؤلاء الأوربيون اكتشاف هذا الفكر وترجمته .. من أجل إثراء ثقافتها. بالطرق التي أتاحت لها فعلا تلك الخطوات، التي هدتها إلي حركة النهضة، منذ أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، وفي المرحلة العصرية والاستعمارية، فإنها تكتشف الفكر الإسلامي مرة أخري،لا من أجل تعديل ثقافي، بل من أجل تعديل سياسي لوضع خططها السياسية، مطابقة

---

(٣٤) الاستشراق وجه للاستعمار الفكري الشيخ عبد المتعال الجبري ص ٢٧٢.ط / مكتبة وهبة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لما تقتضيه الأوضاع في البلاد الإسلامية من ناحية، ولتسيير هذه الأوضاع طبق ما تقتضيه السياسات في البلاد الإسلامية من ناحية أخرى(٣٥).

وقد ذكر المؤرخون دوافع للصليبيين من وراء هجماتهم علي البلاد الإسلامية وكان أبرزها دافعين:

الدافع الأول: دافع ديني:(٣٦)

إنها العصبية العمياء، التي آثارها رجال الدين الكنسي في الشعوب الأوربية، فقد افتروا علي الإسلام والمسلمين أبشع الافتراءات وحرضوا النصارى أشد التحريض علي تخليص مهد المسيح من أيدي الكفار ــ أي المسلمين ــ فكانت جمهرتهم قد أخرجتهم العصبية الدينية، من ديارهم عن حسن نية، وقوة عقيدة، إلي حيث يلاقون الموت، والقتل والتشريد، حملة بعد حملة، وجيشا بعد جيش .

حيث لم ينس الغرب أن الدين الإسلامي انتشر علي حساب باطلهم الذي تمسكوا به، وسحب البساط من تحت أقدامه في أماكن كثيرة من العالم كانت تدين بهذا الباطل.بل لم ينس الغرب أن الإسلام هاجمه في عقر داره بفضل ما جاء به من مبادئ قامت علي العدل والرحمة فدفعته ــ أي الغرب ــ عصبيته العمياء، وجهالته المطبقة لباطله دون نظر أو تفحص إلي معاداة الإسلام وأهله، والعمل علي القضاء علي الإسلام والمسلمين .

---

(٣٥) انظر: إنتاج المثقفين وأثره في الفكر الإسلامي للأستاذ / مالك بن نبي ص ٨ ط دار الإرشاد بيروت س ١٩٦٩ م

(٣٦) ذكر المؤرخون أهدافا أخري إلي جانب هذا الهدف مثل الهدف الاقتصادي، والتجاري، والسياسي، وأهدافا أخري ثانوية لا تقل من الهدف الأول والأقوى وهو الهدف الديني.راجع كتاب جهاد المسلمين في الحروب الصليبية د / فايد عاشور .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فالتمس الغرب لذلك ما يتوهم من أسباب كادعاء سواء المعاملة لبعض النصارى بسبب عقيدتهم، والحقيقة أن الدولة الإسلامية عاملتهم هذه المعاملة بسبب خروجهم علي العرف الإسلامي، ومحاولاتهم دائما الكيد للإسلام والمسلمين والتآمر مع بعض أعداء الإسلام .

فقام الغرب بتضخيم هذه الحوادث الفردية وجعل منها تعميما شاملا ليشوه صورة الإسلام، ونسي الغرب الحقود ما صاحب انتشار النصرانية المحرفة من تشريد وقتل وسفك للدماء في ظل أباطرة روما ومن جاءوا بعدهم حتى نهاية العصور الوسطى وردحا طويلا من العصر الحاضر، وانساق الغرب وراء مزاعم آباء الكنيسة الذين امتلأت قلوبهم حسدا وحقدا علي الإسلام والمسلمين، تدفعهم العصبية العمياء ونزعة الكبرياء والتفرد إلي محاربة الإسلام والوقوف في طريق انتشاره في المعمورة.(٣٧)

والدافع الثاني: دافع سياسي استعماري:

فلقد سمع ملوك أوربا بما تتمتع به بلاد المسلمين من حضارة، وثروات، فجاءوا يقودون جيوشهم باسم المسيح، وما في نفوس إلا الرغبة في الاستعمار والفتح، وشاء الله أن ترتد الحملات الصليبية كلها مدحورة مهزومة(٣٨) .

---

(٣٧) انظر تفاصيل ذلك في: التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية د/ أحمد شلبي صـ ٨١ بتصرف ط/ مكتبة النهضة المصرية ـ ط١ / ١٩٧٢م. وانظر جهاد المسلمين في الحروب الصليبية فايد عاشور صـ٩٥ . والغزو الفكري د/ مجدي الصافوري صـ ١٢ بحث مستل من حولية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا العدد الحادي عشر س ١٤٢١هـ ٢٠٠م.

(٣٨) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي د / مصطفي السباعي ص ١٨٧ – ١٨٨ ط / دار المكتب الإسلامي بيروت ودمشق س ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومعلوم أن الحروب الصليبية بدأت منذ القرن الحادي عشر، واستمرت حتى نهاية القرن الثالث عشر، أي ما يقرب من مائتي وخمسة وعشرين عاما، في ثماني حملات من الحملات المدججة بالعدة والمعدات ويصف كاهن مدينة (لوبوي ريموند واجيل) سلوك الصليبين حينما دخلوا علي القدس فيقول: (حدث ما هو عجيب بين العرب حينما استولى قومنا علي أسوار القدس وبروجها، فقطعت رؤوس بعضهم فكان هذا أقل ما أصابهم، وبقرت بطون بعضهم فكانوا يضطرون إلي القذف بأنفسهم من أعلي الأسوار،وحرق بعضهم في النار فكان هذا بعد عذاب طويل،وكان لا يري في شوارع القدس وميادينها سوى أكداس من رؤوس العرب وأيديهم وأرجلهم، فلا يمر المرء إلا علي جثث قتلاهم، ولكن كل هذا لم يكن إلا بعض ما نالوه[٣٩]

وروى الكاتب نفسه ذبح عشرة آلاف مسلم في مسجد عمر رضي الله عنه يقول هذا الكاتب: (لقد أفرط قومنا في سفك الدماء في هيكل سليمان فكانت جثث القتلى تعوم في الساحة هنا وهناك، وكانت الأيدي والأذرع المبتورة تسبح كأنها تريد أن تتصل بجثث غريبة عنها فإذا ما اتصلت ذراع بجسم لم يعرف أصلها ..... وكان الجنود الذين أحدثوا تلك الملحمة لا يطيقون رائحة البخار المنبعثة من ذلك إلا بمشقة ... ولم يكتف الفرسان الصليبيون الأتقياء بذلك، فعقدوا مؤتمرا أجمعوا فيه علي إبادة جميع سكان القدس من المسلمين واليهود، وخوارج النصارى، الذين كان عددهم نحو ستين ألفا، فأفنوهم علي بكرة أبيهم في ثمانية أيام، ولم يبقوا منهم امرأة، ولا ولدا، ولا شيخا[٤٠] .

---

(٣٩) حضارة العرب د/ غوستاف لوبون ترجمة عادل زعيتر ص ٣٢٦ – ٣٢٧ ط / ثانية س ١٩٤٧ م .

(٤٠) حضارة العرب ص ٣٢٦ – ٣٢٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعمل الصليبيون مثل ذلك في مدن المسلمين التي اجتاحوها.ففي(المعـــرة) قتلوا جميع من كان فيها من المسلمين اللاجئين إلـــي الجوامـــع، والمختبئـــين فـــي السراديب، فأهلكوا صبرا ما يزيد علي مائة ألف إنسان في أكثر الروايات .وكانـــت المعرة من أعظم مدن الشام وأكثرها عددا للسكان بعد أن فر إليها الناس بعد ســـقوط أنطاقية وغيرها بيد الصليبين(٤١).

وجدير بالذكر أن الحملة الصليبية عند دخولها بيت المقدس فـــي ١٥ / ٧ / ١٠٩٩ م ٣/ ٩/ ٤٩٣ هـــ .قد ذبحت اكثر من سبعين ألف مسلم حتى سبحت الخيل إلي صدورها في الدماء.وفي أنطاقية قتلوا أكثر من مائة ألف مسلم(٤٢) .

وقد روى الراهب روبرت، أحد الصليبين المتعصبين وهو شاهد عيان لما حدث في بيت المقدس،واصفا سلوك قومه: (كان قومنا يجوبون الشوارع، والميادين، وسطوح البيوت، ليروا غليلهم من التقتيل، وذلك كاللبؤات التي خطفـــت صـــغارها، كانوا يذبحون الأولاد والشباب،ويقطعونهم إربا، وكانوا يشنقون أناسا كثيرين بحبـــل واحد، بغية السرعة.وكان قومنا يقبضون علي كل شيء يجدونه، فيبقـــروا بطـــون الموتى، ليخرجوا منها قطعا ذهبية، فيا للشره، وحب الذهب، وكانت الـــدماء تـــسيل كالأنهار في طرق المدينة المغطاة بالجثث(٤٣) .

فالأمر إذن جد خطير، إنه حقد أهل الشر والباطل علي أهل الخير والحـــق، وأهل الرذيلة علي أهل الفضيلة، وعداوة الشرك للتوحيد، وخصومة الضلال للهـــدي

---

(٤١) حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة د / جميل عبده محمد المصري ص ٦٥ / مكتبة العبيكان نقلا عن الإسلام والحضارة العربية نقلا ص، ٣٩٦.

(٤٢) المرجع السابق ص ٦٠

(٤٣) الحضارة العربية / لوبون ص ٣٢٥، وتاريخ العرب /فيلب حتى ص ١٩٤ – ١٩٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد صمدت الأمة الإسلامية في وجه هذه الحروب الوحشية التي سلبت ونهبت، وقتلت وفتكت، وتيقظ الإيمان في قلوب المسلمين(٤٤)

وبعد مرور أكثر من قرنين تخللهما حروب دامية، اشتد وطيسها، بين كتائب المؤمنين، وبين جحافل الأشرار، ارتدت الحروب الصليبية، وقد باءات هذه الحملات بالفشل والهزيمة الساحقة، فقد مني لويس التاسع في حملته علي مصر بهزيمة قاسية عند مدينة المنصورة وأسر وسجن بدار ابن لقمان حتى افتدي بمال كثير وعاد إلي الغرب وكانت هذه الهزيمة (إيذانا بتقلص حملات النصارى علي العالم الإسلامي وإن قاموا بعد ذلك بحملات هزيلة علي المغرب العربي إلا أنها لم تأت بشيء اللهم إلا مزيد من الذل والمهانة(٤٥) .

ومن ثم أخذ أعداء الإسلام يفكرون في تغير منهجهم لما أيقنوا أن قوة الحديد والنار لا تجدي نفعا مع المسلمين، الذين يملكون عقيدة راسخة، تدفعهم على الجهاد، وتحضهم علي التضحية بالنفس، وبكل غال وثمين .

فكانت وصية لويس التاسع ملك فرنسا أن يهتم أتباعه بتغيير فكر المسلمين،والتشكيك في عقيدتهم، وشريعتهم، وذلك بعد أن درسوا الإسلام لهذا الغرض، وهكذا تحولت المعركة من ميدان الحديد والنار إلي ميدان الثقافة والفكر .

وقد جاءت وصيته في مخططه الجديد لسياسة الغرب علي النحو التالي:

١ــ تحويل الحملات الصليبية العسكرية إلي حملات صليبية سلمية، تستهدف الغرض نفسه لا فرق بين الحملتين إلا في نوعية السلاح الذي يستخدم في

---

(٤٤) أضواء علي الثقافة الإسلامية د/ نادية شريف العمري ص ١٦٤ ط / مؤسسة الرسالة الطبعة التاسعة س ١٤١٩ ه / ١٩٩٨ م.

(٤٥) احذروا الأساليب الحديثة في مواجه الإسلام د / سعد الدين صالح ص ٢٨ ط / دار الأرقم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المعركة، فلم يعد السلاح هو المدفع أو الطائرة،ولم يعد الجندي هو ذاك الذي يلبس البذلة الصفراء، بل أصبح السلاح هو الفكرة، والقول اللين، الذي ظاهره الرحمة وباطنه فيه العذاب.

وأصبح المستشرق والمبشر هو الجندي بلبسه الأنيق، وأسلوبه الناعم الذي لا يثير النفس كما كانت تحدثها البذلة الصفراء.هذا الجيش الجديد هو الذي يستطيع في نظر الملك (لويس) أن يقضي علي الإسلام أو يوقف انتشاره ٠

٢ــ العمل علي استخدام من يمكن إغراؤهم من مسيحي الشرق في تنفيذ سياسة الغرب الكنائس الوطنية ٠

٣ــ العمل علي إنشاء قاعدة في للغرب في قلب الشرق الإسلامي، يتخذها الغرب نقطة ارتكاز ومركزا لقواته الحربية، ولدعوته السياسية،والدينية، ومنها يمكن حصار الإسلام والوثوب عليه كلما أتيحت الفرصة لمهاجمته، وقد عين (لويس التاسع) لإنشاء هذه القاعدة الأراضي الممتدة علي ساحل البحر المتوسط من غزة إلي الإسكندرية، وتشمل فلسطين والأردن، والبلاد المقدسة، ثم لبنان بأسرها وجزء من سوريا(٤٦)٠

ولقد بدأ حرب(الغزو الفكري) من منطلق ضرب المسلمين عن طريق الكلمة، بعد هزيمة الحروب الصليبية- كما وجههم – (لويس التاسع) والعمل علي ترجمة القرآن، والسنة، وعلوم المسلمين للبحث عن الثغرات التي يدخلون منها إلي

---

(٤٦) انظر.الإسلام وخرافة السيف د / عبد الودود شلبي ص ٢١٨ – ٢١٩.واحذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام ص ٣٣ – ٣٤.وانظر الاستشراق وجه للاستعمار الفكري ص ٨٠ د / عبد المتعال الجبري ٠وانظر تحديات الغزو الفكري ص ١٢.مرجع سابق ٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إثارة الشبهات، وقد أعلنوا صراحة أن الإسلام هو عدوهم الأول، وأن أكبر غاية لهم هي ضرب وهدم قواعده[٤٧]

وإن كانت الحروب الصليبية قد فشلت حربيا ٠٠ لكن بقي ــ الغزو الفكري ــ ينفث سمومه، ويثير الشكوك ولا شك أن العداء الصليبي للإسلام، هو الدافع الأساس للغزو الفكري، فقد أخذ هذا العدو (شكل السعار الوبائي) لدى الأمم الغربية (الصليبية) فأخذوا مستميتين يوزعون السموم، ذات اليمين، وذات الشمال، ويفترون الأكاذيب، ويطمسون الحقائق، ويدبرون المكائد، ويتصيدون السقطات، ثم يدخلون في روع أنفسهم، وبني جلدتهم أنهم أرقى عنصرا، وأفضل عقلا، وأفلح دينا، وأنهم أوصياء علي البشرية، وسادة الإنسانية، وهداتها، ومرشدوها[٤٨] .

وهذه بعض أقوال بني جلدتهم التي تدل علي مخططاتهم للغزو الفكري، وذكر ما رشح عنها من أسباب كرههم للإسلام وعداء الغرب للمسلمين .

يقول (غاردنر): (إن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوربا)[٤٩]

وهذا أحد رؤساء وزراء بريطانيا السابق (جلادستون) يقول: (مادام القرآن موجودا فلن تستطيع أوربا السيطرة علي الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان)[٥٠]

---

(٤٧) المد الإسلامي في القرن الخامس عشر الهجري.الأستاذ / أنور الجندي ص ٢٦ ط / دار الاعتصام بالقاهرة س ١٩٨٢ م.

(٤٨) الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية د / توفيق يوسف الواعي ص ٧٠٤ – ٧٠٥

(٤٩) أجنحة المكر الثلاثة د / عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص ١٣ ط / بيروت دار القلم س ١٩٧٧ م

(٥٠) أضواء علي الثقافة الإسلامية د / نادية العمري ص ١٦٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويذكر المستشرق (بيكر) بعض أسباب هذا العداء فيقول: (إن هناك عداء من النصرانية للإسلام، بسبب أن الإسلام عندما انتصر في العصور الوسطى أقام سدا منيعا في وجه الاستعمار،وانتشار النصرانية، ثم امتد إلي البلاد التي كانت خاضعة لصولجانها)[٥١]

ويضاف إلي ذلك ما قاله (لورانس براون): (إن الخطر كامن في نظام الإسلام، وفي قدرته علي التوسع والإخضاع، وفي حيويته، إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الغربي)[٥٢] ثم يسترسل قائلا: (إن خطر المسلمين هو الخطر العالمي الوحيد في هذا العصر، الذي يجب أن تجتمع له القوى، ويجيش له الجيوش، وتلتفت إليه الأنظار، فيقول حاكيا أراء المبشرين (المنصرين): إن القضية الإسلامية تختلف عن القضية اليهودية، إن المسلمين يختلفون عن اليهود في دينهم، إنه دين دعوة، إن الإسلام ينتشر بين النصارى أنفسهم، و بين غير النصارى، ثم إن المسلمين كان لهم كفاح طويل في أوربا – كما يراه المبشرون – وهو أن المسلمين لم يكونوا يوما ما أقلية موطوءة بالأقدام)[٥٣] .

إن هذه الأحقاد والضغائن كانت السبب الرئيس في الإغارة علي الأمة الإسلامية، بمختلف الأساليب،والأشكال،والطرق،وما زالت تلك الموجة تشتد، وتعلو، وتمتد، ثقافيا وفكريا، لتخريب قواعد الإسلام، وإشاعة الأفكار والتيارات الهدامة[٥٤]

---

(٥١) أجنحة المكر الثلاثة ص ٧٠٥.

(٥٢) المصدر السابق ص ٧٠٥، وانظر التبشير والاستعمار لعمر فروخ والخالدي ص ١٨٤ ط المكتبة العصرية .

(٥٣) الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ص ٧٠٦.

(٥٤) انظر:المرجع السابق ص ٧٠٧، والمد الإسلامي في القرن الخامس عشر ص ٢٨٦

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأصبحت الأمة مشغولة بما هو هامش في حياتها، حتى لا تدركها اليقظة الواعية، ولا تنتبه إلي ما يدبر لها ويحاك حولها.لقد أيقن الغربيون أن خير وسيلة لغزو الأمة الإسلامية وإخضاعها، هو سلوك الغزو الفكري، فوضعوا خططهم، وحاكوا مؤامراتهم للغارة علي أفكار الأمة ومفاهيمها الإسلامية، وأصبحت قاعدتهم التي ارتكزوا عليها: (إذا أرهبك عدوك فأفسد فكره ينتحر به، ومن ثم تستعبده) وانطلقت الصيحة إلي ضرورة نقل المعركة من الساحات الحربية إلي ميدان الفكرة والمعرفة)[٥٥] .

إن الواقع المر الذي لا فكاك عن الاعتراف به أن أعداء الأمة الإسلامية، أغاروا علي حضارتها، وثقافتها، سعيا وراء هدم عقائدها، وأفكارها، وإحلال الأفكار الغربية محلها.ساء ما يفعلون، وبئس ما يخططون، وأسأل الله أن يخيب مسعاهم، ويفضح نواياهم، إنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير .

ثالثا: التقدم العلمي عند الغرب:

لقد كان الغرب يملك تقدما علميا فائقا، وتقدما ماديا هائلا، وعبقرية تنظيمية مبدعة، وروحا من الجلد والصبر علي العمل والإنتاج، وروحا عملية في مواجهة المشكلات من ناحية الدراسة أو من ناحية التنفيذ[٥٦] .

ولا ريب أن التقدم العلمي المذهل الذي شهده الغرب، كان له من القوة الدفاقة والانتشار السريع، ما بهر العقول، وفتن الألباب، ولا غرو فقد بز بذلك كل تقدم علمي عرفه العالم؛ وسمعت عنه البشرية في التاريخ المترامي الأطراف،

---

(٥٥) نظرات في الثقافة الإسلامية / عز الدين الخطيب وآخرون ص ٣٣، وأجنحة المكر الثلاثة ص ١٤ .

(٥٦) واقعنا المعاصر الأستاذ محمد قطب ص ٣٤٣ ط مؤسسة المدينة جدة س ١٤٠٧ هـ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

واستطاع أن يخرج من الأسرار، ويكشف من الاختراعات، ما جعل أبصار الناس وعقولهم، تتعلق به[٥٧].

فاتجهت الأنظار، والعقول، والقلوب، إلي الغرب ـ خاصة وهذا العلم أصبح في خدمة البشرية ـ تتطلع إلي ما فيه من اكتشافات تأتي بجديد، فتعود علي البشرية بالنفع ،ومن ثم واجهة الأمة الإسلامية مشكلة هذا التقدم العلمي الغربي، وهذا التحدي السافر علي طريق واحد، وهو صاحب الحضارة العريقة، والرسالة الدينية الخاتمة، وصاحب الشهادة علي الإنسانية، بعد ما انسحبت كل الديانات والفرق والمذاهب، متوارية من نوره الوهاج،ن وحجته المشرقة، وصاحب المساحة الواسعة، والثقافة العريقة، والقوي الكبرى التي كان يحسب لها ألف حساب.(فكان تحدي الحضارة المادية للعالم الإسلامي، أعظم من تحديها لأي آمة، ولأي حضارة، ولأي ثقافة، وقد صاحب تلك الحضارة مذاهب فكرية، وفلسفات مادية، ونظم سياسية، واقتصادية، واجتماعية، وعمرانية، وخلقية، وكان لابد أن ينظر الناس – وخاصة الشعوب النامية – إلي هذه المذاهب، والفلسفات والنظم، نظرة تقدير واحترام، لأنها نتاج تلك الشعوب المتقدمة، وحصاد تلك الأمم المتطورة، التي فتت الذرة، وصنعت الطائرة والصاروخ، وأدارت الأقمار)[٥٨] وغزت الفضاء وصنعت (الحاسوب) – الكومبيوتر –، والهندسة الوراثية،ى التي انتهت إلي مرحلة يعبرون عنها بـ (الثورة البيولوجية) وأصبحت تراقب سلوكيات البشرية كلها عن طريق الأقمار الصناعية – وخاصة تحركات المجتمعات الإسلامية – وتكتشف من الفضاء الواسع، ما يزيدها من العلم تمكينا، وأصبحت الأمة الإسلامية تمجد الحضارة الغربية، والتقدم العلمي والصناعي الأوربي، واستطاع الغرب أن ينقل الإنتاج المادي إلي المجتمعات

---

(٥٧) راجع في ذلك: الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ص ٦٨٥.

(٥٨) المرجع السابق ص ٦٨٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإسلامية في أفريقيا، وفي أسيا، لاستخدام هذا الإنتاج في تسيير الحيـاة، والتغلـب علي الصعوبات والمشاق التي عادة تصحب الحياة الإنسانية المتخلفة، أو البدائيـة، وذلك ليكون شواهد مادية، ترى وتختبر في التطبيق وفي واقع الحياة(٥٩) .

ومن ثم أقول: إن الفجوة التي بيننا وبين الغرب ليست نتيجة لتخلف خلقي – بكسر الخاء – في طبيعتنا وتكويننا، وإنما هي حصيلة الغفلة والإهمال عبر سـنين طويلة، كانت الأمة قبلها ذات تفوق في فروع العلم النظري والتجريبي، وكان الغرب يومئذ عالة في ذلك علي الأمة الإسلامية، وهذا واضح وواقع لا ينكره التاريخ، حتى ليقرأ في كتابات وبأقلام المتعصبين ضد الإسلام.

رابعا: ضعف الأمة الفكري وتفككها الاجتماعي:

قال أحد الأدباء: (أمران لا يحدد لها وقت بدقة، النوم فـي حيـاة الفـرد، والانحطاط في حياة الأمة، فلا يشعر بهما إلا إذا غلبا واستوليا) إنه لحق في قـضية أكثر الأمم، ولكن بدأ التدلي والانحطاط في حياة الأمة الإسلامية أوضح منه في حياة الأمم الأخرى، ولو أردنا أن نضع إصبعنا علي الحد الفاصل بين الكمـال والـزوال لوضعنا علي ذلك الخط التاريخي الذي يفصل بن الخلافة الراشدة، والملوكية العربية أو ملوكية المسلمين(٦٠)

لقد أصيبت الأمة الإسلامية بالضعف الفكري، والتفكك الاجتماعي، وذاقـت من جراء تلك الإصابة مرارة التأخر، والضعف الفكري ما أصيب به مجتمـع مـن

---

(٥٩) انظر الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر د / محمد البهي ص ٥٤ مرجع سابق.

(٦٠) انظر: (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ الأستاذ / أبو الحـسن النـدوي ص ١٨٤ ط مكتبة السنة س ١٩٩٠م / ١٤١٠ هـ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المجتمعات، أو أمة من الأمم، إلا كانت حالتها انحطـــاط فـــي التفكيـــر، واهتمـــام بالأساطير والخرافات.

ومعلوم أن التفكك الاجتماعي يظهر بسبب الضعف الفكري، لأن الـــضعف الاجتماعي لا يكشف للمرء مخاطر الوقوع في الواهية، ولهذا تجد الأمة الإســـلامية، ابتليت بالطوائف المتفرقة المتناحرة،والمذهبية التعصبية، وتعدد الدويلات، التي قامت علي أساس شعوبي أو مذهبي، في هذه الدولة أو تلك.

ومن ثم عاشت الأمة الإسلامية في فوضى قاتلة، وتناحر مـــذموم، ونهـــب وقتل، دون وازع من إيمان أو رادع من سلطان ..وأمة هذا شأنها، وذاك وضـــعها وواقعها، لابد وأن تتعرض لسيطرة أعدائها المتربصين بها .

لقد كانت السلطة السياسية في الدول والمجتمعات الإسلامية تعيش في وضع مقلوب، (وفي ذلك الوضع لا بد أن تكتمل الصورة المقيتة لأي إمبراطوريـــة علـــي وشك السقوط، بغض النظر عن اللافتة التي ترفعها، ســـواء كانـــت إمبراطوريـــة فارسية، أو بيزنطية، أو رومانية، أو عباسية.لابد أن تتفشى الرشوة، وتكثر مصادرة الأموال، وتتفاقم الاضطرابات الداخلية، مع الانحلال الخلقي، والانشغال بالتوافه عن الخطر الذي يدق الأبواب)[٦١]

يقول فضيلة الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالي: (وأساس انهيار الأمـــم يبدأ من الداخل وقد يأتي تدخل خارجي ليعمل بالسقوط.ولكن يظل الانهيار الـــداخلي هو بداية النهاية وعاملها الأكبر، ويأتي الانهيار الداخلي حين تتكون طبقـــة مترفـــة

---

(٦١) تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل فضيلة الـــشيخ محمـــد الغزالـــي ص ١١٠ ط دار الشروق بيروت.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تتحكم في الثروة، وفي الجماهير، فتنشر الظلم، والانحلال وتحيل حياة الأكثرية إلي جحيم تهون فيه الحياة)[٦٢]

ولا يخفى علي ذي بصيرة أن المجتمعات الإسلامية عاشت ردحا من الزمن، في تأخر فكري وتفكك اجتماعي كان سبب في تأخرها وضعفها، حتى كانت مرمي سهلا للغزاة الطامعين فيها.

وأي مجتمع يضعف في أفكاره، ويصبح لا يعرف إلا القشور منها، ويعيش في تفكك وتناحر، لابد وأن يسقط، وينحط، فينال منه كل عدو كان يهابه أو يخشاه.

خامسا: انحطاط المجتمعات الإسلامية عن ركب الحضارة:

إن الأمة الإسلامية حين أصابها الضعف الفكري، والتفكك الاجتماعي، انشغلت بالأمور السطحية، فقادها ما انشغلت به إلي الانحطاط عن ركب الحضارة، والتقدم ٠٠ ويعنى هذا أن الأمة انصرفت عن تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، التي تدعو إلي العلم والمعرفة، والحث علي استعمال العقل، والفكر، في كل ما من شأنه أن يأخذ بالبشرية إلي الطريق المستقيم، (وواكب هذا الانصراف انحطاط في القيم ودعوات إلي الركون إلي المتع، والعبث بالأموال، إلي حد السفه والجنون، والترف والفجور)[٦٣]

لقد فشي في المجتمعات – إلا من رحم ربي – الظلم والعبودية، والبؤس والشقاء، والرياء والنفاق، والصور التي لا تتناسب مع تعاليم الإسلام وشريعته وأمسى في المجتمع الأيادي المطلة و الأرجل المشلولة والأئمة الذين لا تابع لهم،والشعوب التي لا راعي لها والأخوة الذين يعادي بعضهم بعضا ٠

---

(٦٢) المرجع السابق ص ١١٣.

(٦٣) الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ص ٦٩٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إن الأمة بهذه الصورة تسلل إليها التخلف والانحطاط مما أضعف ثقتها بنفسها، وأوقف عجلة تقدمها، وجعلها تعتمد في كل شيء علي غيرها.

مع أن الناظر في عقيدة الإسلام وشريعته، يجد أن المسلم لم يخلق ليندفع مع التيار، ويساير الركب البشري حيث اتجه. بل خلق ليوجه العالم والمجتمع،

والمدنية، ويفرض علي البشرية اتجاهه، ويملي عليها إرادته، لأنه صاحب الرسالة، وصاحب العلم اليقين، ولأنه المسؤول عن هذا العالم وسيره واتجاهه فليس مقامه مقام التقليد والإتباع، إن مقامه مقام الإمامة والقيادة، ومقام الإرشاد والتوجيه.ومقام الأمر الناهي(٦٤) .

إن الأمة لها ما يميزها عن غيرها والمسلم فردا من هذه الأمة، (إن الشعور بالتميز يصون في الأمة مقومات وجودها، وينشئ .لها كيانا راسخا صلبا، لا يعتريه التصدع، آو ينفذ إليه الخلل، ما دام هذا الشعور مستندا إلي الحق والخير والفضيلة، منبثقا من جوهر العقيدة، وأصولها الثابتة، متصلا بالشريعة وأحكامها بأوثق سبب(٦٥)

إن التخلف العقلي الذي أصاب الأمة لا يكمن في عدم الذهاب إلي الجامعات، واكتساب المعارف فقط، بقدر ما يكمن في التبلد، والخمول، والنوم، والرضا بالدون، وموت الهمة(٦٦)

إن السنن الكونية لا تعرف المحاباة، فالأمة التي دندنتها التواكل، وحالها يقوم علي الاستجداء، والكسل، والتبعية، والاستسلام والخضوع، أمة لا تستحق الحياة

---

(٦٤) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ ص ٢٢.

(٦٥) لمحات في الثقافة الإسلامية / عمر عودة الخطيب ص ٧٩ ط مؤسسة الرسالة الطبعة الحادية عشر س ١٤١٢ هـ / ٩٩١١ م

(٦٦) الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ص ٦٩٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الكريمة، لأن الحياة الحرة لا تتأتى لمجتمع دون ثمن، أو لأمة دون تضحية، فإذا تنكر لها الزمان، وعصاها المجتمع، وانحرف عن الجادة، لم يكن لها أن تستسلم أو تخضع وتضع أوزارها وتسالم الدهر، بل عليها أن تثور عليه، وتنازله، وتظل في صراع معه وعراك، حتى يقضي الله في أمره.إن فقر الأمة في جوهره وجذوره ليس فقرا في السلاح والمعدات، أو فقرا في المال والإمكانات، وإنما يكمن في فقر النفوس وعجزها، وضعف الإرادة واضطرابها ..[٦٧]

إن تخلف الأمة عن ركب الحضارة، وانحطاطها عن التقدم والرقي، قد يقودها إلي مصير مظلم، وهلاك محتم، ولذا كان الانحطاط والتخلف، عاملا من عوامل الغزو الفكري الذي جريء الغرب علي غزو المجتمعات الإسلامية، ومحاولة إفساد أخلاقه، وثقافته، وفكره.

---

(٦٧) معارك حاسمة في حياة المسلمين د / أحمد عبد الرحيم السايح ص ١٥٥ ط دار اللواء بالسعودية س ١٤٠٩ هـ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثالث

طرق الغزو الفكري

تنوعت أشكال الغزو الفكري في العصر الحاضر، أخذت تغزو العالم الإسلامي والمجتمع العربي خاصة بقيم جديدة ليبتعد عن قيمه ومثله المنبعثة من عقيدته وشريعته .

ولقد انطلق هذا الغزو من عدة جبهات أبرزها ما يأتي

١ – الاستعمار (العسكري والثقافي) .

٢ – العلمانية .

٣ – القومية.

٤ – التنصير.

٥ – الاستشراق

٦– الماسونية.

٧– الصهيونية.

وسأتحدث بأذن الله تعالي عن أربعة منها في هذا الكتاب، وأفردت للتنصير والاستشراق والصهيونية أبحاثا أخرى.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المطلب الأول

الاستعمار

(العسكري والثقافي)

تعرض العالم العربي والإسلامي في العصر الحاضر للسيطرة الاستعمارية من قبل بعض الدول الغربية، وذلك تنفيذا لمعاهدة – بيكو – بين فرنسا وإنجلترا بعد هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى، فأصبحت العراق وفلسطين خاضعة للاحتلال البريطاني، ودخلت الجيوش الفرنسية لبنان وسوريا، وكانت مصر تحت الاحتلال البريطاني منذ عام ١٨٣٠ م وفي المغرب العربي كانت الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي عام ١٨٣٠ م، وأيضا تونس عام ١٨٨١ م، والمغرب عام ١٩١٢ م، كما تعرضت ليبيا إلى احتلال إيطالي عام ١٩١١ م [٦٨] .

تعريف الاستعمار:

ظاهرة سياسية اقتصادية وعسكرية ظهرت بظهور الإمبراطوريات منذ العصر القديم أشور وبابل وفارس.... وظهرت في أوربا في العصر الحديث بظهور القوميات، وحركة الكشوف الجغرافيا وقيام المذهب التجاري.متأثرة في أصولها الفكرية برواسب الفلسفة الأرسطية في العقلية الأوربية حيث نبرة استعلاء الجنس الآري وتميزه وأن من عداه فهو عبد، وله عقلية العبيد، وينبغي أن يعامل بما تعامل به البهائم، وعبر عن هذه النظرة الشاذة (رديارد كنج) في العصر الحديث بقوله: (إن غير الأوربي هو من السلالات الأدنى التي لا قبل لها بالقانون فكل من لم

---

(٦٨) انظر الغزو الفكري للعالم الإسلامي / نبيل عبد الرحمن المحيش ص ١٤ نقلا عن العالم العربي الحديث د / جلال يحي ص ٥٤٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يكن أبيض أو بريطانيا فهو في مرتبة أدنى)[٦٩] وتتجسد الظاهرة الاستعمارية في قدوم موجات متتالية من سكان البلدان الاستعمارية إلي المستعمرات قبل الاحتلال أو بعده بقصد الهيمنة علي الحياة الاقتصادية والثقافية، واستغلال ثروات البلاد، وترافق هذه الظاهرة حملات عسكرية. ويمكن القول: إن الاستعمار مر بمرحلتين:

المرحلة الأولى: الاستعمار الأوربي القديم:

وهي المرحلة التي تسمى بحركة الكشوف الجغرافيا التي تم شطر منها في القرن الخامس عشر الميلادي (لما تم رسميا إزالة الحكم الإسلامي – أي منذ ١٤٩٢م – شجع البابا النصارى على متابعة المسلمين خارج الأندلس. في حرب صليبية جديدة، بغية القضاء على الإسلام في كل الأرض. ولكن وجود الدولة العثمانية القوية في الشرق، التي أزالت الدولة البيزنطية باستيلائها على القسطنطينية عام ١٤٥٣م، لم يكن يتيح للحرب الصليبية الجديدة أن تتجه إلى الشرق نحو بيت المقدس كما اتجهت الحروب الصليبية الأولى الفاشلة، فحاولت الدوران حول العالم الإسلامي من جهة الغرب، وكانت البرتغال أول دولة استجابت للتحريض البابوي وسارعت إلى تنفيذه.)[٧٠]

وكان لهذه الكشوف الجغرافيا هدفان:

الهدف الأول: تطويق العالم الإسلامي لإضعافه تمهيدا لضربه في الداخل.

الهدف الثاني: البحث عن طريق تجاري مع الهند لا يمر بديار المسلمين – طريق رأس الرجاء الصالح، وقد استفاد النصارى من علوم المسلمين الجغرافية

---

(٦٩) انظر الموسوعة الميسرة ج ٢ ص ٩٦٣ مرجع سابق.

(٧٠) انظر: مذاهب فكرية معاصرة الأستاذ محمد قطب ص ٥٦٧–٥٦٨ طبعة دار الشروق الطبعة الأولى عام ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والملاحية عن طريق جواسيس الكشوف الجغرافية من اليهود الذين كانوا يتقنون اللغة العربية، وكثير منهم حل بين المسلمين متظاهرا بالإسلام مما مكن لهم الحصول علي خرائط عربية عن المحيط الهندي، ومعلومات عن التيارات البحرية، والمواقع الجغرافية، والرياح الموسمية، فضلا عن معلومات عن التجارة الشرقية(٧١).

وكان من أشهر هذه الرحلات الاستكشافية رحلة (فاسكودي جاما) التي كانت صليبية المقصد، تتخفى وراء العلم والاستكشاف، فقد قال عقب رحلته عند وصوله إلى جذر الهند: (الآن طوقنا عنق الإسلام .. ولم يبق إلا جذب الحبل فيختنق فيموت)(٧٢) .

ويقول القائد البرتغالي (البوكرك): (كان هدفنا الوصول إلي الأراضي المقدسة للمسلمين.. واقتحام المسجد النبوي، وأخذ رفاه النبي محمد .. رهينة لنساوم عليه الرب من أجل استرداد القدس .. وكان هدفنا الثاني: احتلال جنوب مصر من أجل تغيير مجرى نهر النيل كي يصب في البحر الأحمر بدلا من مروره علي القاهرة في طريقه إلي البحر المتوسط، مما يضمن لنا خنق القلب الذي يقود الحرب ضدنا)

المرحلة الثانية: الاستعمار الأوربي الحديث:

كانت الثورة الصناعية وما تلاها من نشوء الرأسمالية ورسوخها في

---

(٧١) كان هذا الطريق معروفا للمسلمين قبل عدة قرون! حيث كان لدى المسلمين خرائط دقيقة للشواطئ الآسيوية والأفريقية يستخدمونها في رحلاتهم التجارية من شواطئ الصين شرقا إلى بريطانيا غربا وشمالا. انظر المرجع السابق هامش صفحة ٥٦٨.

(٧٢) المرجع السابق ص ٥٦٨.

(٧٣) المرجع السابق ص ٥٦٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المجتمعات الغربية من أهم أسباب هذا الاستعمار، (لأن (أخلاق) الثورة الصناعية هي (الأخلاق) اليهودية ــ إن سميت هذه أخلاقا ــ أي السعي إلى الربح بكل وسيلة مشروعة أو غير مشروعة، ولم يكن غريبا أن تتخلق الثورة الصناعية بهذه الأخلاق الهابطة، مذ كانت خاضعة للسيطرة اليهودية منذ تشأتها)[٧٣]

ومن ثم فقد احتاج الغربيون إلي المواد الخام، لتشغيل مصانعهم، وإلي السواق التي يصرفون فيها منتجاتهم ٠فكان العالم الإسلامي هدفا من أهداف الاستعمار الذي لا يعد إلا فصلا من فصول الحملات الصليبية، يعبر عن ذلك (اللورد اللبني) بعد أن دخلت قواته فلسطين ١٣٣٧ هـ / ١٩١٧ م حيث

استولى علي بيت المقدس يقول: (الآن انتهت الحروب الصليبية)[٧٤].

والاستعمار الحديث يقوم علي أساس استغلال البلاد التي استعمروها، وتطويعها لإرادته، وزرع العملاء، ثم إعطاء الاستقلال دون استخدام أساليب الاستعمار التقليدية، من خلال ع اتفاقات ثنائية غير متكافئة تحد من حريات الدول وتكبلها، وتستغل مشكلاتها الاقتصادية والإدارية، للتدخل في شئونها والضغط عليها من خلال القروض والمعونات المشروطة، وإقامة القواعد العسكرية، وإثارة الإضرابات الداخلية سواء كانت طائفية أو عرقية أو إقليمية.وعلي ذلك فإن تسميته بالاستعمار مغالطة وتشويش علي المعني الحقيقي له، فالأولى تسميته:استعبادا لا استعمارا[٧٥].

---

(٧٤) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام د / علي عبد الحليم ص ١٤٢ ط جامعة الإمام محمد بن سعود ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.

(٧٥) انظر: الموسوعة الميسرة ج ٢ ص ٩٦٣، وصفحات من الاستعمار علي موقع الإنترنت ٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والعجيب أنه لا يعلن الرحيل إلا بعد ضمان الآتي:

١ــ حكم الدول المستعمرة من الخارج عن طريق العملاء.

٢ــ الاستحواذ علي ثرواتها ومقدراتها عن طريق تشغيل شركات المستعمر في أراضيها.

٣ ــ التبعية السياسية والثقافية للمستعمر(٧٦)

وفي هذا المقام يذكر الدكتور عبد الصبور مرزوق ما دار بينه وبين الأستاذ الشهيد سيد قطب رحمة الله عليه حينما وقعت اتفاقية جلاء الإنجليز عن مصر بالأحرف الأولى ــ وكان ذلك في أكتوبر سنة ١٩٥٤م ــ يقول: فقلت له مهنئا: لنحمد الله أن المستعمرين الإنجليز سيخرجون من مصر، وهذا يتيح للعمل الإسلامي حرية وفاعلية.. فقال رحمة الله عليه: لقد وقعت الاتفاقية لإخراج الإنجليز الحمر، وهؤلاء خطرهم محدود.. لكن المهم هو أن يخرج من مصر (الإنجليز السمر). وكان رحمة الله عليه يعني بعض ذوي البشرة السمراء من الذين تأثروا تأثرا ثقافيا كاملا بالفكر الغربي، وبالنظريات التي صاغها المستشرقون، والمنصرون وفسروا بها الإسلام وفق أهوائهم(٧٧).

آثار الاستعمار:

نتج عن هذا الاستعمار آثار كثيرة، اقسمها إلي قسمين:

---

(٧٦) المرجع السابق ج٢ ص ٩٦٣ والغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ص ١٤٠ – ١٤٣ وصفحات من الاستعمار علي موقع الإنترنت.

(٧٧) الغزو الفكري د/ عبد الصبور مرزوق صـ ١٢ مرجع سابق.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القسم الأول: آثار دينية:

منها ضعف الدعوة إلي الإسلام ونشره، وانتشار البدع والمنكرات، والجهل بأصول الإسلام، وضعف الالتزام بأحكام الشريعة، حتى صار الإسلام اسما فقط.

وقد سلك المستعمرون في سبيل تحقيق ذلك طرقا عدة منها:

١ ــ تقطيع العالم الإسلامي إلي دويلات – بالقضاء علي الخلافة العَثمانية.

٢ــ تجفيف منابع العلم بأحكام الإسلام وشــريعته، وإضــعاف دور العلمــاء والدعاة.

٣ــ ممارسة التنصير وتبديل ثقافة الأمة بثقافة أخرى.

٤ــ تغيير اللسان العربي الذي في بقائه وحفظه حفظ للإسلام .

٥ــ نشر الفاحشة بين المسلمين، بإخراج المرأة ســافرة، والأغــاني والأفــلام الخليعة.

٦ــ إحياء النعرات القومية.

القسم الثاني: آثار دنيوية: منها:

١ــ تفريق الأمة الواحدة وضرب الحدود الاستعمارية بينها، والتحريش بين الجار والجار.

٢ــ اغتصاب الأرض الإسلامية مثل – الأندلس والبلقــان وروســيا البيــضاء، وأرض الجمهوريات الإسلامية، وجبل طارق وفلسطين وتيمــور الــشرقية وأخيرا يحاولون هذه الأيام في أفغانستان والعراق.

٣ــ تكريس تبعية نظم البلدان المستعمرة الاقتصادية، والسياسية، والثقافية،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والاجتماعية للدول الاستعمارية العظمى.

٤ــ تغريب المواطن عن مشاكل شعبه فوق أن يفكر في مشاك أمته ...

٥ ــ وجود مجتمعات خاصة (فصائل ثقافية أجنبية) ضمن المجتمع الإسلامي تهدد وحدة المجتمع، ووجود ممثل الإرساليات التنصيرية – والشبكات الماسونية)

٦ــ إقناع الشعوب الإسلامية بأن الخير في الاستعمار الثقافي، والاقتناع بتميز الرجل الأبيض عن سائر الشعوب الملونة .

وسائل المستعمر في غزوه الفكري:

استغل أصحاب الاستعمار ما يملكونه من قوة لدعم غزوهم الثقافي والفكري للعالم الإسلامي وانتهجوا في ذلك الوسائل التالية:

١ــ عقد المؤتمرات الاستعمارية لدراسة أحوال العالم العربي ووضع الخطط المناسبة لها، فكانت للاستعمار مؤتمراته وندواته وأجهزته ورجاله وأعوانه(٧٨) .

٢ــ إحكام السيطرة علي وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءون، وذلك عن طريق بث البرامج التي تخدم أهداف المستعمرين، ففي الصحافة: قام بتدريب وتعليم جهاز فني وإداري ومهني من أبناء البلاد الإسلامية يتولى مهمة التوجيه للحياة العامة في المجتمع، بمنهج غير إسلامي.

وبالنسبة للكتب: عمل علي التشجيع علي إصدار سلسلات فكرية في الأدب والاقتصاد غير الإسلامي وبالنسبة للتلفاز: يتم الغزو عن طريق إعداد برامج

---

(٧٨) انظر الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ص ١٤٣ بتصرف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومسلسلات أو عرض أفلام تبرز الصراع الطبقي أو الترف الاجتماعي، أو الفساد الخلقي، بطرق مبتكرة وأساليب حديثة[٧٩].

٣ــ السيطرة علي التعليم: وجه المستعمرون (كل اهتمامهم إلي التعليم فأفسدوه، وفرضوا من خططهم ومناهجهم وأدواتهم التعليمية ما يؤكد في نفوس المتعلمين احترام فكر الغرب وحضارة الغربيين وثقافتهم من جانب، وما يزري بالفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية والثقافة الإسلامية من جانب آخر ورموا بهذا الشر كل المدارس والمعاهد وأماكن التعليم في العالم الإسلامي كله، وما استعصى عليهم وعلي خططهم مثل قليل من المعاهد والمدارس التي كانت تعني بدراسة علوم الإسلام كالأزهر الشريف في مصر، وكبعض المساجد التعليمية في قليل من بلدان العالم الإسلامي، إذ استطاعت هذه الأماكن – إلي حد كبير – أن تحافظ علي اهتمامها بدراسة العلوم الإسلامية وعلوم اللغة العربية فكانت بذلك رمزا لتمسك الأمة بدينها ولغتها وتراثها[٨٠].

كما عمل المستعمر علي نشر الأفكار الهدامة والساقطة، والنظريات الوجودية والفلسفات في الجامعات الإسلامية.وتشجيع تعلم اللغات الأجنبية وجعل ذلك شرطا للحصول علي بعض الوظائف، يقول الدكتور علي عبد الحليم: (وهذا التشجيع للغات الأجنبية ليس في حقيقته إلا تبعية فكرية ثقافية وتغريبا ضروريا لعدد من أبنائنا، وهو في الوقت نفسه حرب للغتنا وإحلال للغة أخرى محلها، وإهمال للغة القرآن الكريم، غير أن كلامنا هذا لا يعني أن نرفض تعليم اللغات الأجنبية في

---

(٧٩) انظر الغزو الثقافي للأمة الإسلامي ماضيه وحاضره / منصور بن عبد العزيز الخريجي ص ١١٠ – ١١١ ط دار الصميعي للنشر والتوزيع.وانظر أخطار الغزو الفكري علي العالم الإسلامي بحوث حول العقائد الوافدة د / صابر طعيمة ٥١ –٥٢ ط / عالم الكتب

(٨٠) الغزو الفكري د / علي عبد الحليم ص ١١٠ – ١١١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عالمنا الإسلامي، وإنما يعني أن تكون للعربية المكانة الأولى في العلمين العربي بالذات والإسلامي بعامة[٨١].

٤ــ غرس الفرقة ومحاربة الوحدة:

لقد دأب الاستعمار وما زال يعمل علي تفريق العالم الإسلامي وتشتيته، وليس أدل علي ذلك من قيامهم بإسقاط الخلافة الإسلامية ثم تمزيق العالم الإسلامي والعربي إلى دويلات وبث عوامل الفرقة، والتحريش بين الجار والجار، كما عملوا علي إحياء نعرة القوميات كالفرعونية في مصر والآشورية في العراق والفينيقية في سوريا ولبنان .. (كما عملوا علي القضاء علي اللغة العربية الفصحى والدعوة إلي

استخدام العامية واللهجات الإقليمية واستخدام اللاتينية بدل الأحرف العربية..)[٨٢]

ويتحدث الدكتور / علي عبد الحليم: عن عوامل تأثير اللغة في الوحدة بين الأمة: (وما يجهل عدونا قيمة اللغة في بعث كيان الأمة والنفخ في روحها، بل حملها علي التحرر والاستقلال، ما يجهل عونا ذلك ولا نجهله نحن فلنا وله علي ذلك من التاريخ الحديث شواهد وبراهين:

فالأمة التشيكية انبعثت حرة مستقلة عن طريق العناية بلغتها علي الرغم من محاولة الألمان والنمساويين، القضاء علي اللغة التشيكية ... وفي فرنسا قامت ضجة اجتمعت لها بعض المجالس النيابية واشتركت فيها الصحافة، حتى إن صحيفة (لموند) أقامت الدنيا وأقعدتها آنذاك، لأن كلمات أوربية غير فرنسية قد تسربت إلي اللغة الفرنسية، فخاف الفرنسيون من ذلك علي لغتهم أولا وعلي أمتهم الفرنسية ثانيا.

---

(٨١) المرجع السابق ص ١١٧.

(٨٢) انظر المرجع السابق ص ١١٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي ألمانيا – في عهد النازيين – أصر الألمان علي أن يـضعوا كلمـات ألمانية موضع بعض الكلمات اللاتينية اليونانية التي كانت مستعملة، وقد أكد (فيختة) كاتب ألمانيا المعروف: أن اللغة الأمنية قادرة علي رفع معنويـات الأمـة وإعـادة وحدتها وتوتيط أركانها بعد أن كانت جيوش نابليون قد جعلت من ألمانيا ما يقـرب من ثلاثين دولة.

تلك شواهد من التاريخ الحديث علي أهمية اللغة أي لغة في الأمة التي يتكلم بها، فما بالنا إذا كانت لغتنا العربية هي لغة القرآن الكريم أكمل دين وأشمل نظام؟.

العجيب حقا أن يمضي عونا في حرب لغتنا وإفساد لساننا ثم يجد أبناء اللغة العربية من يستجيبون له ويرددون باطله، فيكونون حربـا علـي لغـتهم وأمـتهم ودينهم(٨٣).

٥ – العمل علي نشر الفساد والانحلال:

لعل من أخطر أنواع الغزو الذي يمارسه المستعمرون هدم الأخلاق الحميدة والمثل العليا وممارسة ما يفسد المجتمعات الإسلامية وقد سلكوا لتحقيق هذا الهـدف طريقين هما:

أ ــ التضليل الفكري للشباب.

ب ــ إيجاد البيئة الفاسدة.

وقد عمدوا إلي استخدام عناصر الإفساد المـؤثرة وهـي المـال والنـساء والمسكرات والمخدرات ووسائل اللهو وجند المستعمرون (كل ما يستطيعون تجنيده لإفساد المجتمعات الإسلامية بهذه العناصر وسهلوا سبل فتح الدور التي تستدرج إليها

---

(٨٣) الغزو الفكري د / علي عبد الحليم ص ١١٥ – ١١٦

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

طلاب االذة المحرمة وعشاق المال الحرام، لقد عملوا حتى اشتروا بالمال أصحاب النفوس الضعيفة، وأخذوا يوجهونهم كما يريدون وعملوا علي نشر الرشوة والتشجيع علي اختلاس الأموال العامة ودعم الاحتكارات المحرمة والتغاضي عن الغش وتهريب المحظورات الدولية ..)[٨٤].

كما استغل المستعمرون النساء حيث استخدموا الساقطات منهن في التغرير بالشباب المسلم العربي، وبعد أن أوقعوهم في شرك النساء، تمكنوا من التلاعب بأفكارهم وأخلاقهم وسلوكهم، وقد أحكم هؤلاء (سياسة الغزو الخلقي والسلوكي للشعوب الإسلامية عن طريق الكوافر العواهر اللاتي تدفق سيلهن ففي معظم البلاد الإسلامية بأسماء وصفات شتى، علمية وفنية وتجارية وصناعية وامتزجن بالأسر الإسلامية وسهلن سبل الفاحشة للمراهقين في أعمارهم ...كما دعا المستعمرون إلي الاختلاط، وتبرج المرأة وعريها في الشواطئ وفي الفنادق ووسائل الإعلام .. وانتشرت بعد ذلك المسكرات والمخدرات، وكان للمستعمرين نصيب واسع في نشرها .. فكانوا يشجعون علي إدمانها لكسب الأموال ولإماتة روح المقاومة في نفوس الناس[٨٥].

ومن جهة أخرى فقد وضع المستعمرون الخطط المحكمة لإفساد الأجيال الناشئة من الفتيان والفتيات حيث عملوا علي توفير أدوات الترف التي تشغل الشباب في أوقاتهم عن الاهتمام بأمور الأمة وتقدمها (وقد أدرك أعداء المسلمين أن الترف والرفاهية والانغماس في اللذات أمور تسبب البطر وتوقف كل تقدم علمي وإنتاج صحيح، وتصيب الأمة بانهيار خلقي وسلوكي يؤدي بها إلي الضعف والهوان، فوضعوا خططهم من أجل إغراق الذين بسط الله لهم في الرزق من المسلمين في

---

(٨٤) أجنحة المكر الثلاثة / عبد الرحمن حبنكة ص ٣٤٨.

(٨٥) المرجع السابق ص ٣٥١ بتصرف

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنواع الترف والرفاهية المحرمة، ودفعوا لهم وسائل الترف المشروعة وغير المشروعة .)[٨٦].

٦ـ تشجيع المذاهب والحركات الباطلة:

عمد المستعمرون علي تشجيع المذاهب والحركات الباطلة والمشبوهة، والتي تتوافق مع أهداف المستعمرين، ولا تشكل خطرا عليه مثل البهائية والقاديانية وأمثال تلك الدعوات التي تدعو إلي ترك الجهاد، والتعايش السلمي مع المستعمر[٨٧]

كما عمل المستعمر علي تشجيع وإنشاء النوادي الماسونية كالليونز والروتاري وهي تنشر فكر المستعمر وتدعم خططه ومن خلال ما ذكر من وسائل استطاع هؤلاء المستعمرون أن يغزوا العالم الإسلامي في فكره وثقافته .

---

(٨٦) انظر أجنحة المكر الثلاثة ص ٣٧٨.

(٨٧) انظر في تفصيل ذلك الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي د / محمد البهي ٤٣ – ٤٧ ط/ دار الفكر بيروت ١٩٧٠م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المطلب الثاني

العلمانية

من أخطر ما ابتلت به أمة الإسلام، وخاصة بين قطاعات المهن التي اقتضت نوعا من الاحتكاك بالفكر الغربي، فهذه طريقة من طرق الغزو الفكري لها خطورتها علي العالم الإسلامي منذ أن صدرت إليه في بداية القرن العشرين، وهذه نظرات سريعة

في التعرف عليها.

١ــ التحديد اللغوي للعلمانية:

لم يوجد لفظ العلمانية في معاجم اللغة العربية قديما، وإن كان قد وجد في كتب المعاجم العربية الحديثة ومن ذلك:

((العلماني: العامي الذي ليس بإكليريكي))[٨٨].

فالعلمانية مشتقة من العلم – بفتح العين وتسكين اللام بمعنى العالم أو الدنيا.

والعلماني – بفتح العين – هو خلاف الديني أو الكهنوتي[٨٩]

---

(٨٨) معجم المعلم بطرس البستاني ، والكيرس أو الإكليرس: جماعة مفرزون ومكرّسون لخدمة الكنيسة مثل الأساقفة والقساوسة والشماسة ويقابلهم العلمانيون ، ومعنى كليرس اليونانية: قرعة لأنهم كانوا قديما ينتخبون بالقرعة انظر: جذور العلمانية د/ السيد أحمد فرج ص ١٥٤. طبعة دار الوفاء المنصورة الطبعة الخامسة ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

(٨٩) المعجم الوسيط ج ٢ / ٦٢٤ ((مجمع اللغة العربية)) مطبعة مصر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهي غير العلمانية – بكسر العين – أو العلمية المشتقة من العلم – بكسر العين[٩٠].

و ورد في معجم المعلم البستاني: (العلماني: العمي الذي ليس بإكليريكي)

ولعل المعنى الصواب لترجمة كلمة العلمانية هي (اللادينية) أو (الدنيوية)[٩١]

وليس المراد ما يقابل الأخروية فحسب، بل المراد ما لا صلة له بالدين.

وهذا ما تجليه وتؤكده دوائر المعارف الأجنبية.

٢ـ التحديد المفاهيمي للعلمانية:

والعلمانية تعني فصل الدين أو إبعاده عن الدولة، وقيام الدولة علي أسس دنيوية لا دينية، تتمثل هذه الأسس في العلم الوضعي، والعقل، ومراعاة المصلحة العامة في مختلف شئون الدولة وهي (تعود إلى الأصل الأجنبي فإن دائرة المعارف البريطانية تقول في مادة (Secularism) : (هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيهم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالحياة الدنيا وحدها)[٩٢].

وتقول دائرة المعارف الأمريكية: (الدنيوية هي نظام أخلاقي أسس علي نظام الأخلاق الطبيعية ومستقل عن الديانات السماوية أو القوى الخارقة

---

(٩٠) معجم العلوم الاجتماعية – نخبة من العلماء المصرين والعرب ط / الهيئة المصرية العامة للكتاب س ١٩٥٧ م وانظر الإسلام والعلمانية وجها لوجه د / يوسف القرضاوي ص ٥١ ط / مكتبة وهبة .

(٩١) جذور العلمانية المرجع السابق ص ١٥١.

(٩٢) انظر مذاهب فكرية معاصرة الأستاذ / محمد قطب ص ٤٤٥ ط / دار الشروق بيروت الطبعة الثانية س ١٤٠٧ ه / ١٩٨٧ م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

للطبيعة ..)[٩٣] والتعبير الشائع في الكتب الإسلامية المعاصرة هو فصل الدين عن الدولة.وهو في الحقيقة لا يعطي المدلول الكامل للعلمانية الذي ينطبق علي الأفـراد وعلي السلوك والذي قد لا يكون له صلة بالدولة)[٩٤]

العلمانية في الاصطلاح:

(هي دعوة إلي إقامة علي غير الدين، وتعني في جانبها الـسياسي بالـذات اللادينية في الحكم وهي اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم والمذهب العلمي)[٩٥].. ذلك أنه كان لدى الناس في العصور الوسطى رغبة شديدة في العزوف عن الدنيا والتأمل في الله واليوم الأخر، وفي مقاومة هذه الرغبة طفقت الـ(Secularism) تعـرض نفسها من خلال تنمية النزعة الإنسانية، حيث بدأ الناس في عصر النهضة يظهرون تعلقهم الشديد بالإنجازات الثقافية والبشرية وبإمكانية تحقيق مطامحهم في هذه الـدنيا القريبة.

وظل الاتجاه إلى الـ (Secularism) يتطور باستمرار خلال التـاريخ الحديث كله، باعتبارها حركة مضادة للدين ومضادة للمسيحية[٩٦].

ومدلول العلمانية المتفق عليه يعني عزل الدين عن الدولة وحياة المجتمـع وإبقاءمجبيساً في ضمير الفرد لا يتجاوز العلاقة الخاصة بينه وبين ربه فان سمح له بالتعبيرعن نفسه ففي الشعائر التعبدية والمراسم المتعلقة بالزواج والوفاة ونحوهما.

---

(٩٤) انظر الاتجاهات الفكرية المعاصرة د / علـي جريـشة ص ٨٥ ط دار الوفـاء للطباعـة المنصورة ط / أولي س ١٤٠٧ ه / ١٩٨٧ م

(٩٥) العلمانية لسفر الحوالي ص ٢٣.وانظر: مذاهب فكرية معاصرة أ / محمد قطب ص ٤٤٥.

(٩٦) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ج ٢ ص ٦٨٩.

(٩٧) انظر العلمانية د / سفر الحوالي ص ٢٣ – ٢٤ . وانظر: مذاهب فكرية معاصرة أ / محمد قطب ص ٤٤٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإن كانت العلمانية تتفق ــ كما زعم النصارى ــ مع الديانة النصرانية في فصل الدين عن الدولة حيث لقيصر سلطة الدولة وشسبلطة الكنيسة وهذا واضح فيما ينسب للسيد المسيح من قوله:(إعط ما لقيصر لقيصر ومالله لله). أما الإسلام فلا يعرف هذه الثنائية والمسلم كله لله وحياته كلها لله (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) سورة الأنعام ١٦٢

ومما تقدم ذكره يعني أمرين:

أولهما: أن العلمانية مذهب من المذاهب اللادينية، التي ترمي إلى عزل الدين عن التأثير في الدنيا، فهو مذهب يعمل على قيادة الدنيا في جميع النواحي السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والأخلاقية، والقانونية، وغيرها، بعيدًا عن أوامر الدين ونواهيه.

ثانيهما: أنه لا علاقة للعلمانية بالعلم- كما يحاول بعض المراوغين أن يلبس على الناس، بأن المراد بالعلمانية: هو الحرص على العلم التجريبي والاهتمام به، فقد تبين كذب هذا الزعم وتلبيسه بما ذكر من معاني هذه الكلمة في البيئة التي نشأت فيها-. ولهذا، لو قيل عن هذه الكلمة: "العلمانية" إنها:" اللادينية؛ لكان ذلك أدق تعبيرًا وأصدق" وكان في الوقت نفسه أبعد عن التلبيس، وأوضح في المدلول.

مراحل العلمانية:

إن العلمانية مرت في أوربا بمراحل أبرزها مرحلتان:

المرحلة الأولى: مرحلة العلمانية المعتدلة.

وكانت هذه المرحلة في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وفي هذه المرحلة وإن اعتبر الدين أمرا شخصيا ــ لا شأن للدولة به إلا أن علي الدولة ــ مع ذلك ــ أن تحمي الكنيسة، وبالأخص في جباية ضرائبها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والتفكير العلماني في هذه المرحلة وإن طالب بتأكيد الفصل بين الدولة وبين الكنيسة إلا أنه لم يسلب المسيحية كدين من كل قيمة لها. وإن كان ينكر فيها بعض تعاليمها، ويطالب بإخضاع تعاليم المسيحية إلي العقل، وإلي مبادئ الطبيعة مما نشأ عنه المذهب المعروف باسم مذهب الربوبيين، وهو مذهب يعترف بوجود الله كأصل للعالم، ولكنه ينكر الإعجاز والوحي وتدخل الله في العالم.

ومن دعاة هذه المرحلة: فولتير (١٦٩٤ ـ ١٧١٣ م) في فرنسا، وشفتسيري (١٦٧١ـ ١٧١٣ م) في انجلترا، وليسنج (١٧٢٩ ـ ١٧٨١م) في ألمانيا، والفيلسوف الإنجليزي جون لوك (١٦٣٢ـ ١٧١٤م)، وهويز (١٥٨٨ـ ١٦٧٩م)، وديكارت، وبيكون، وسبينوزا، وجان جاك روسو، وأضرابهم(٩٧).

المرحلة الثانية:

وبدأت هذه المرحلة في القرن التاسع الهجري وما بعده، وتسمى مرحلة العهد المادي، أو الثورة العلمانية، وقامت هذه المرحلة علي إلغاء الدين ـ أي دين إلغاء كليا وعدم الإيمان بالأمور الغيبية ـ وليس فصلا بينه وبين الدولة كما هو المفهوم في المرحلة الأولى، واعتبار أن الموجود الحقيقي هو المحسوس فقط، والدافع عليها هو الاستئثار بالسلطة، ولذلك كانت العلمانية غير مساوية لمفهوم الفصل بين الكنيسة والدولة، بل كانت إلغاء للدين كمقدمة ضرورية إلي السلطة المنفردة التي هي سلطة جماعة العمل أو المجتمع أو الدولة أو الحزب حسب تحديد

---

(٩٧) انظر الاتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف الإسلام منها د/ جمعة الخولي ص ٩٢ الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ مطابع الجامعة الإسلامية المدينة المنورة. والموسوعة الميسرة جـ ٢ صـ ٦٨٩ـ ٦٩٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بعض هؤلاء الشيوعيين اليساريين. ومن دعاة هذه المرحلة هيجيل وفيرباخ وكارل ماركس وأضرابهم[٩٨]

نشأت العلمانية:

نشأت العلمانية وانتشرت في أوربا وعمت أقطار العالم بحكم النفوذ الغربي والتغلغل الشيوعي.وصار لها نفوذ سياسي مع ميلاد الثورة الفرنسية.

ومن ثم فقد كان الغرب النصراني في ظروفه الدينية المتردية هو البيئة التي نبتت فيها شجرة العلمانية، وقد كانت فرنسا بعد ثورتها المشهورة هي أول دولة تُقيم نظامها على أسس الفكر العلماني، ولم يكن هذا الذي حدث من ظهور الفكر العلماني والتقيد به – بما يتضمنه من إلحاد، وإبعاد للدين عن كافة مجالات الحياة، بالإضافة إلى بغض الدين ومعاداته، ومعاداة أهله – لم يكن هذا حدثًا غريبًا في بابه، ذلك لأن الدين عندهم حينئذ لم يكن يمثل وحي الله الخالص الذي أوحاه إلى عبده ورسوله المسيح عيسى ابن مريم – عليه السلام –، وإنما تدخلت فيه أيدي التحريف والتزييف، فبدلت وغيرت وأضافت وحذفت وقد عمت العلمانية أوربا في القرن التاسع عشر لتشمل معظم دول العالم في السياسة والحكم في القرن العشرين[٩٩]

---

(٩٨) انظر الاتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف الإسلام منها د/ جمعة الخولي ص ٩٢ الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ مطابع الجامعة الإسلامية المدينة المنورة. والموسوعة الميسرة جـ ٢ صـ ٦٨٩ـ ٦٩٠ وما بعدها. وانظر: مذاهب فكرية معاصرة أ محمد قطب صـ ٤٤٥ وما بعدها

(٩٩) وانظر: مذاهب فكرية معاصرة أ محمد قطب صـ ٤٤٥ وما بعدها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أسباب نشأت العلمانية:

أولا:الطغيان الكنسي:

لم تكتفِ الكنيسة – الممثلة للدين عندهم – بما عملته أيدي قسيسيها ورهبانها من التحريف والتبديل، حتى جعلت ذلك ديناً يجب الالتزام والتقيد به،فقد ورث رجال الكنيسة عن أحبار اليهود صفاتهم الممقوتة من التعصب الأعمى واتباع الهوى واحتكار الرأي، فظلت مصادر الدين الكنسي حكرا عليهم.

وقد ترتب علي ذلك ما ارتكبه رجال الدين من أخطاء وليس الدين نفسه ويتمثل ذلك في:

١ــ الحجر علي العقول وتكبيل كل إبداع فكري وكل كشف علمي.

إن رجال الكنيسة مارسوا لونا آخر من الطغيان غير الطغيان الروحي.. مارسته الكنيسة لا علي أرواح الناس هذه المرة ولكن علي عقولهم وأفكارهم، حين فرضت عليهم هذه الأسرار فرضا ومنعتهم من مناقشتها، واعتبرت المناقش فيها أو الشاك في أمرها كافرا مهرطقا(١٠٠) وجبت عليه اللعنة الأبدية، وخرج من رضوان البابوية فخرج ــ من ثم ــ من رضوان الله.

ولم يكن للناس بد تحت هذا التهديد الطاغي ممن في أيديهم ــ وحدهم ــ الوساطة بين الله وعباده ــ كما يزعمون ــ أن يسلموا تسليما أعمى بأسطورة التثليث وأسطورة العشاء الرباني وأسطورة الأب الذي صلب ولده فداء لخطيئة آدم.. وغيرها من الأساطير المفروضة عليهم، لكي يأمنوا غضب الوسطاء، المؤدي ــ في

---

(١٠٠) والهرطقة كما فهمتها الكنيسة إذ ذاك ــ هي: مخالفة رأي الكنيسة ، فرأي يراه عالم في العلوم الكونية هرطقة ، ومحاولة فهم الكتاب المقدس لرجل غير كنسي هرطقة. أنظر: المسيحية د/ أحمد شلبي صـ ٢٥٦ ط/ مكتبة النهضة المصرية القاهرة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهمهم ــ إلي غضب الله، وأن يلتزموا بهذا الحجر البشع علي العقول ولكن.. هل كان من الممكن أن يستمر ذلك إلي الأبد دون أن تتمرد العقول المكبوتة وتدعوا إلي حرية التفكير؟![١٠١]

٢- الحجر علي القلوب المتمثل في صكوك الغفران، وقرارات الحرمان، ومحاكم التفتيش والسجون.

لم يكف الكنيسة ورجال دينها هذا الفساد كله، فأضافوا إليه مهزلة من أكبر مهازل التاريخ. تلك هي مهزلة صكوك الغفران..... ومع أنها مهزلة مضحكة ــ ومكشوفة ــ فقد ظلت قائمة في المجتمع الأوربي ــ مجتمع الظلمات ــ فترة غير قصيرة من الوقت، واتسع نطاقها وكثرت أرباحها حتى فاضت عن مطامع قداسة البابا، فتنازل عن شيء من الفائض لكبار أعوانه، فصرح لهم بإصدار صكوك لحسابهم، استرضاء لهم، واستعانة منه بهم في ((جلائل الأعمال))!

ولكنها كانت لابد مؤدية إلي نتائجها الطبيعية، وهي النفور من الدين في النهاية والنفور من رجال الدين[١٠٢].

---

(١٠١) انظر: مذاهب فكرية معاصرة أ/ محمد قطب صـ ٣٣ ــ ٤٠ بتصرف. وانظر: محاضرات في النصرانية لأبي زهرة ص ١٣٥ ط / دار الفكر العربي ط/ ٣ ١٣٨١ هـ. والعلمانية د/ سفر ص٣٦. والمسيحية د/ أحمد شلبي ص ١١٠. وكواشف زيوف لعبد الرحمن الميداني ص ٢٣ ط / دار القلم طبعة أولى ١٤١٢هـ ١٩٨٥م .

(١٠٢) انظر: مذاهب فكرية معاصرة أ محمد قطب صـ ٦٣ ــ ٦٦ بتصرف. وانظر: محاضرات في النصرانية لأبي زهرة ص ٢٠٣. والمسيحية د/ أحمد شلبي ص ٢٥٥. ومعالم تاريخ الإنسانية ج٣/ ص ٨٩٦. هـ. ج. ولز. ت: عبد العزيز جاويد ، القاهرة ط/ أولى ١٩٥٠م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن ناحية أخرى كانت محاكم التفتيش وما صاحبها من الفظائع عميقة الأثر في الحس الأوربي، وسيئة النتائج بالنسبة للحضارة الجاهلية التي انبثقت في أوربا منذ عهد النهضة.. لقد أصبح عداء الدين المتمثل هناك في الكنيسة ورجالها أمرا ((لازما)) لكل صاحب فكر حر أو ضمير حي.. لأن هذا العداء هو أبسط تعبير عن الثورة ضد الذل والمهانة التي تفرضها الكنيسة علي الكرامة الإنسانية كما تفرضها علي العقل الذي خلقه الله ليفكر لا ليمتهن بالحبس في داخل سدود وقيود ما أنزل الله بها من سلطان(١٠٣).

٣ – تحالف الكنيسة مع الظالمين للشعب.

فإن الكنيسة – الممثلة للدين عند النصارى – أقامت تحالفًا غير شريف مع الحكام الظالمين، وأسبغت عليهم هالاتٍ من التقديس، والعصمة، وسوَّغت لهم كل ما يأتون به من جرائم وفظائع في حق شعوبهم، زاعمة أن هذا هو الدين الذي ينبغي على الجميع الرضوخ له والرضا به.

يقول صاحب كتاب قصة الحضارة: (أصبحت الكنيسة أكبر ملاك الأراضي وأكبر السادة الإقطاعيين في أوربا.... وكان الملك هو الذي يعين رؤساء الأساقفة والأديرة... وكانوا يقسمون يمين الولاء لغيرهم من الملاك الإقطاعيين.. وهكذا أصبحت الكنيسة جزءا من النظام الإقطاعي.)(١٠٤)

ومن ثم فقد تحدد موقفها من قضايا السياسة والاقتصاد والاجتماع، حيث

---

(١٠٣) مذاهب فكرية معاصرة ص ٦٩ مرجع سابق.

(١٠٤) انظر: قصة الحضارة / ديورانت ج١٤ ص٤٢٥ ترجمة محمد بدران. نشر الإدارة العربية في جامعة الدول العربية ، مطابع الدجوي القاهرة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حالفت مع الظالمين للشعب وساندتهم، وأخذت تذود عنهم وتحارب حركات الإصلاح! وكانت في ذلك منطقية باعتبارها من كبار الملاك!

فهل يعقل أن تحارب الإقطاع وهي جزء منه، بل من أكبر ممثليه؟!

٤ - **تحريف المسيحية**(١٠٥).

لم تعرف أوربا قط دين الله المنزل علي حقيقته الربانية.

إنما عرفت صورة محرفة من صنع الكنيسة الأوربية لا صلة لها بالأصل المنزل. الذي أرسل المسيح مبلغا لبني إسرائيل قال تعالى (**وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**) آل عمران٤٩

وأنما ظلت الجماهير الأوربية تستقي دينها من رجال الدين من البابوات والكرادلة. ومن شراح الأناجيل المحرفة، والمجامع، وتعتبرهم مرجعا لا يرقى إليه شك أو ارتياب، ولا يجوز أن يناقش!

يقول درابر الأمريكي في كتابه الدين والعلم.

(ودخلت الوثنية والشرك في النصرانية بتأثير المنافقين الذين تقلدوا وظائف خطيرة، ومناصب عالية في الدولة الرومية بتظاهرهم بالنصرانية. ولم يكونوا يحفلون بأمر الدين. ولم يخلصوا له يوما من الأيام.. وكذلك كان قسطنطين.. فقد

---

(١٠٥) راجع في تفصيل هذا (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم) موريس بوكاي دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ط / دار المعارف س ١٩٧٩ م.وانظر: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام د / علي جريشة ص ٣٠٥ - ٣٠٦ ط / جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٤ ه / ١٩٨٤ م

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قضى عمره في الظلم والفجور، ولم يتقيد بأوامر الكنيسة الدينية إلا قليلا في آخر عمره سنة ٣٣٧م.(١٠٦)

وإن دينا بهذه الصورة لا يمكن أن يكون صالحا للحياة. إذ كيف يصلح دينا قد شوهت العقيدة فيه، وفصلت شريعته عن عقيدته، وانحصرت في أضيق نطاق.

٥ – اضطهاد الأقليات الطائفية، المتمثل في حروب الكاثوليك والبروتستانت، والمتمثل أيضا في اضطهاد اليهود من قبل الدول الأوربية ككل، ومن يقظة الحركة اليهودية، وذلك لأن إبعاد الدين عن المجتمع الغربي يعني إبعاد المسيحية، وقيام الدولة علي مفهوم القومية، وهذا يعني السماح لكل الأديان بالعيش في وطن واحد، مما يستلزم مشروعية الوجود اليهودي، لهذا فقد زكى اليهود وساعدوا كل حركات البعد عن(دينية الدولة) أو (الطابع الديني للدولة) وبعد نجاح عصر التنوير دخل اليهود المجتمع من أوسع أبوابه(١٠٧) .

ثانيا: الصراع بين الكنيسة والعلم:

كان من نتيجة تعارض الدين المُبدَّل المحرف، ذاك الصراع بين الكنيسة والعلم الذي أدى إلي مشكلة من أعمق مشكلات التاريخ الفكري الأوربي إن لم تكن أعقدها علي الإطلاق. ذلك أن الكنيسة هاجمت العلماء الذين قالوا بكروية الأرض وهددتهم بالحرق أحياء في الأفران.. وقد حدث هذا بعدما عاد من احتك من الغربيين بالإسلام في القرنين الحادي عشر والثاني عشر، سواء عن طريق تلقيهم العلم في

---

(١٠٦) مقدمة كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين الشيخ الندوي الطبعة العاشرة ١٣٩٣هـ دار القلم بالكويت.

(١٠٧) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي د / علي جريشة وحمد شريف الزيبق ص ٣٧ ط / دار الاعتصام س ١٩٧٩ م.وانظر: مكايد يهودية عبر التاريخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٢٤٤ الطبعة الثالثة ط/ دار القلم دمشق بيروت.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأندلس وقرطبة، وشمال أفريقيا وغيرها، أو عن طريق الحروب الصليبية، وقد تأثروا بنور الإسلام، وعرفوا أن الكنيسة ورجالها عملة مزيفة، أخذ هؤلاء في مقاومة الكنيسة ودينها المزيف، وأعلنوا كشوفاتهم الجغرافية والعلمية، والعلوم الطبيعية التي تحرمها الكنيسة، فكان رد الفعل هو تكفير هؤلاء العلماء، وتقتيلهم، وإحراقهم وتشريد المكتشفين، وأنشأت الكنيسة محاكم التفتيش لملاحقة حملة الأفكار المخالفة لآرائها وأفكارها.

وأمست الكنيسة واقفة ضدالعلم، ومهيمنة على الفكر، ومشكلة لمحاكم التفتيش، ومتهمة العلماء بالهرطقة، ومن هؤلاء العلماء:

١ــ برنيكوس:نشر عام ١٥٤٣م كتاب حركات الأجرام السماوية وقد حرمت الكنيسة هذا الكتاب.

٢ــ جرادانو:صنع التلسكوب فعذب عذاباً شديداً وعمره سبعون سنة وتوفي سنة ١٦٤٢م.

٣ــ سبينوزا:صاحب مدرسة النقد التاريخي وقد كان مصيره الموت مسلولاً.

٤ ــ جون لوك:طالب بإخضاع الوحي للعقل عند التعارض.

ومن ثم كان ظهور مبدأ العقل والطبيعة:فقد اخذ العلمانيون يدعون إلى تحرر العقل وإضفاء صفات الإله على الطبيعة(١٠٨)

---

(١٠٨) انظر تفاصيل ذلك في: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة / ناصر القفاري وزميله ط/ ١ س ١٤١٣هـ ١٩٩٢م دار الصميعي للنشر بالرياض. ومذاهب فكرية معاصرة ص ٥١٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبما أن الدين بصبغته الإلهية النقية لم يدخل المعركة، فإن الأولى أن نسمي ما حدث في أوربا صراعا بين الكنيسة والعلم، وليس بين الدين والعلم أو بين رجال الدين والعلماء[١٠٩]

واستمر هذا الصراع مع مصالح الناس في دنياهم ومعاملاتهم، و في الوقت نفسه تعارضه مع حقائق العلم الثابتة عدة قرون، وحيث لم تكتفِ الكنيسة – الممثلة للدين عندهم – بما عملته أيدي قسيسيها ورهبانها من التحريف والتبديل، حتى جعلت ذلك ديناً يجب الالتزام والتقيد به، وحاكمت إليه العلماء المكتشفين، والمخترعين، وعاقبتهم على اكتشافاتهم العلمية المناقضة للدين الكنسي المبدل، فاتهمت بالزندقة والإلحاد، فقتلت من قتلت، وحرَّقت من حرَّقت، وسجنت من سجنت.

ومن ثم فقد ارتكبت الكنيسة خطأين فادحين في آن واحد:

*تحريف حقائق الوحي اللاهي وخلطها بكلام البشر.

*فرض الوصاية الطاغية على ما ليس داخلا في دائرة اختصاصها.وتوهمت الكنيسة أن في قدرتها أن تملك الحقيقة العلمية وتحتكرها، وانتهى هذا الصراع بإبعاد الكنيسة ورجالها عن التدخل في أنظمة الدولة وشئون الحياة.

ثالثا: الثورة الفرنسية:

في الفترة التي كان فيها الشرق المسلم في ظل أفضل وأعدل مجتمع عرفه التاريخ، كان الغرب النصراني يرزح تحت ظلم النظام الإقطاع البغيض.وتربط أولى محاولات الإنسان الأوربي الانفلات من المظالم الإقطاعية بالاحتكاك المباشر

---

(١٠٩) انظر الكشاف الفريد عن معاول الهدم ونقائض التوحيد خالد محمد علي الحاج (٢/٢٩٣). دولة قطر ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالمسلمين عن طريق الفتوحات الإسلامية في أوربا، وبلغ ذلك ذروته إبان الحروب الصليبية.

ثم حدثت الثورة الفرنسية وانتصر فيها الشعب علي الطبقتين المحتكرتين (رجال الدين والأشراف) وولدت لأول مرة في أوربا النصرانية دولة جمهورية لادينية، تقوم فلسفتها علي الحكم باسم الشرع وعلي دستور وضعي بدلا من قرارات الكنيسة(١١٠)

ومن ثم بدأ الناس هناك يبحثون عن مهرب لهم من سجن الكنيسة ومن طغيانها، ولم يكن مخرجهم الذي اختاروه إذ ذاك، إلا الخروج على ذلك الدين الكنسي- الذي يحارب العلم ويناصر المجرمين - والتمرد عليه، وإبعاده وطرده، من كافة جوانب الحياة السياسية، والاقتصادية، والعلمية، والأخلاقية، وغيرها.

وفعلا قامت الثورة الكبرى عام ١٧٨٩م واستطاع اليهود أن يجنوا ثمرات عملهم علي حساب آلام الشعوب، والدماء التي أهرقت من جرائها، واستطاعوا أن يظلوا في الخفاء بعيدا عن الأضواء، وأن يزوروا كثيرا من الحقائق التاريخية؛ لستر مكايدهم وغاياتهم، والدليل علي أن من كان وراء هذه الثورة اليهود ما جاء في البرتوكول الثالث: (تذكروا الثورة الفرنسية التي نسميها ــ الكبرى ــ إن أسرار تنظيمها التمهيدي معروفة لنا جيدا لأنها من صنع أيدينا، ونحن من ذلك الحين نقود الأمم قدما خيبة إلي خيبة)(١١١)

---

(١١٠) العلمانية د / سفر الحوالي ص ١٦٩.وانظر: مكايد يهودية عبر التاريخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٢٤٤وما بعدها

(١١١) انظر: الخطر اليهودي برتوكولات حكماء صهيون / محمد خليفة التونسي ص ١٧٤ ط/ دار التراث.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن ثم ولدت لأول مرة في تاريخ أوربا النصرانية دولة جمهورية، لادينية، تقوم قواعدها علي الحكم باسم الشعب ــ وليس باسم الله ــ وعلي حرية التدين بدلا من الكثلكة ــ أي أتباع الكنيسة الكاثوليكية ــ وعلي الحرية الشخصية بدلا من التقيد بالأخلاق الدينية، وعلي دستور وضعي بدلا من قرارات الكنيسة.(١١٢)

رابعا: طبيعة التعاليم النصرانية:

إضافة إلي ما سبق ذكره فإن البحث المدقق في هذه الفترة يصل إلي حقيقة واضحة، ألا وهي: تحول التعاليم اليهودية إلي طقوس جامدة لا حياة فيها، واتجاهها في جوهرها للتزهد، واحتقارها للدنيا، وتجردها من عالم المادة. ومن نماذج ذلك ما جاء في الأناجيل مثل:

(سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر. بل من لطمك علي خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين.... أحبوا أعدائكم باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلي مبغضكم. وصلوا لأجل الذين يسئون إليكم ويطردونكم)(١١٣)

لقد نظر الغرب الأوربي إلي هذه التعاليم الموغلة في السماحة فوجدها بعيدة عن واقع العصر وظروف الحياة.

فمثل هذه التعاليم المحرفة لا تصلح توجيها عاما لكل الناس ذلك أن مطالبة الإنسان بمحبة عدوه ومباركة لاعنيه قد لا تطيقه بعض النفوس، كما لا تحتمل

---

(١١٢) انظر: الموجز في الأديان ص٧٦ وكواشف زيوف ص٢٩

(١١٣) انظر: انجيل متى (٥/ ٣٨ ــ ٤٤) وانجيل لوقا (٦/ ٢٧ ــ ٣٠) الكتاب المقدس. دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السكوت علي الضرب. ثم إن في ترك المعتدي تشجيع له علي المضي في سلوكه إلي آخر المدى، أما المنهج الإسلامي القويم الوسط، فقد جاء بالنسبة للنظرة إلي الحياة الدنيا والآخرة ، بالجمع بين الحياتين وطلب العناية بهما معا — وإن وجه إلي تغليب العمل للباقية منهما قال الله تعالى: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} الأعراف٣٢

وقال تعالى: (وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) القصص٧٧

وأما بالنسبة إلي عقوبة المعتدي فقد شرع مقابلة السيئة بمثلها ردعا للظلم، وكسرا لشوكته، ثم حث علي العفو والصفح عن المسيء؛ لأن الناس متفاوتون في طباعهم، فمنهم اللين المتسامح، ومنهم الشديد الصعب، فشرع الله في ديننا الحنيف لهذا وذاك، قال تعالى: {وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّه لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} الشورى٤٠

وقال تعالى: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ} النحل١٢٦

ولذلك كان التشريع الإسلامي تشريعا مناسبا في كل عصر ومصر ولله الحمد والمنة.

هذه هي أبرز أسباب ظهور العلمانية التي عمت أوربا في القرن التاسع عشر، وبدأت تنتشر في غيرها من العالم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الجذور الفكرية للعلمانية: .

١ــ بعض العلمانيينينكرون وجود الله أصلاً.ويهملون أمور الغيب، من بعث وثواب وعقاب وغير ذلك، وبعضهم يفصل بين وجود الله سبحانه،وبين تأثيره في الحياة(١١٤)

ومثل هذا الإلحاد ينشأ عنه مجتمع غايته متع الحياة وملذاتها، وقد وصف الله تعالى من كان كذلك بقوله تعالى: (يأكلون ويتمتعون كما تأكل..) ولذلك فإن قبول العلمانية في أي مجتمع يودي به إلي المروق من الدين، والتحلل من الأخلاق.

٢ــ إقامة حاجز بين عالمي الروح والمادة والقيم الروحية لديهم قيمسلبية، وإقامة الحياة علي أساس مادي.

والعلمانيون بذلك يفرضون علي المرء قوانين لا تناسب تكوينه الذاتي، ولا تلائم فطرته، القائمة علي التوازن الدقيق بين المادية والروحية، فإنها تتعرض دائما للتمرد والعصيان، الأمر الذي يدفعها دائما إلي إعادة النظر في قوانينها ونظمها وتغيير مناهجها، وذلك من أجل تقبل الناس لها ومحاولة للتوازن والتوافق(١١٥)

٣ــ فصل الدين عن السياسة وإقامة الحياة على أساس مادي.

وهم بذلك فتحوا المجال للانتماءات الطبقية والوضعية والقومية والمذهبية وغيرها.

---

(١١٤) الاتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف الإسلام منها ص٩١.

(١١٥) انظر العلمانية المنشأ والأثر في الشرق والغرب / زكريا فايد ص١٣٣ ط/ ١ ، ١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٨م ط/ الزهراء للأعلام العربي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والهدف من وراء هذا الفصل هو هدم العقيدة الصحيحة، وإخراج الناس من نور الإيمان إلي ظلام الكفر والإلحاد، وإحلال النظم الوضعية محل النظم الإلهية.

٤ ــ تطبيق مبدأ النفعية (البراجماتية)[١١٦] علىكل شيء في الحياة.

البراجماتية تقوم علي إنكار ألوهيته سبحانه بل وإنكار وجوده، وتنكر الدين والأخلاق، وتجعل المنفعة المادية العاجلة وحدها المسيطرة علي هذا المذهب، وهي أساس أي عمل أو فكرة، وتجعل مصلحة الإنسان لنفسه فوق مصالح الآخرين حتى ولو أضر بهم[١١٧] وهذا علي نقيض ما جاء به الإسلام، حيث كفل الخير والصلاح لكل الناس، بل إن المصالح والمنافع في ديننا الحنيف يسودها المحبة والتعاون والإيثار، وابتغاء المثوبة والأجر من الله تعالى، والنصوص القرآنية والنبوية في ذلك كثيرة ومنها:

قول الله تعالى (وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) البقرة١٩٥ وقوله تعالى: {لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً} النساء١١٤ وقوله تعالى: (وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ

---

(١١٦) مذهب البراجماتية يقيس القضية بنتائجه العملية ، ويرى أتباعها أن قيمة المعتقدات والقيم الخلقية نابعة من أثرها ، فما حقق منفعة للإنسان ، فهو خير وصحيح ، والعكس بالعكس ، ومن أبرز روادها: تشارلس بيرس (١٨٣٩ ــ ١٩١٤م) جون ديوي (١٨٥٦ ــ ١٩٥٢م) شيلر (١٨٦٤ ــ ١٩٣٧م). انظر:الموسوعة الميسرة ج٢ ص(٨٤٢ ــ ٨٤٣). العصرانية في حياتنا الاجتماعية د/ عبد الرحمن الزنيدي ص ٥٠ ، دار المسلم الرياض ط/ ١ ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤م.

(١١٧) انظر: الموسوعة العربية الميسرة ج١ ص ٣٣٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) المائدة٢ وقوله تعالى {لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ اللّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ} البقرة٢٧٢

وفي الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ــ ﷺ ــ ((كل سلامى من الناس صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس قال ابن أبي السري عليه الشمس قال يعدل بين اثنين صدقة ويعين الرجل في دابته ويحمل عليها أو يرفع له عليها متاعه صدقة والكلمة الطيبة صدقة وكل خطوة يمشيها إلى الصلاة صدقة ويميط الأذى عن الطريق صدقة رواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق(١١٨).

(عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ سَالِمًا أَخْبَرَهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَهُ

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ ولا يُسْلِمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ)) (١١٩)

---

(١١٨) المسند المستدرك على صحيح الإمام مسلم للنيسابوري باب الصدقة ووجوبها حديث رقم ٢٢٦٠ ط/ دار الكتب العلمية بيروت س ١٤١١هـ ١٩٩٠م وفتح الباري شرح صحيح البخاري ج٢ ص ٣٠٨ ط / دار المعرفة بيروت س١٣٧٩هـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب وشرح النووي على صحيح مسلم للإمام النووي ج٧ ص ٩٤ ط/ دار إحياء التراث العربي بيروت س ١٣٩٣هـ

(١١٩) متفق عليه صحيح البخاري واللفظ له - (ج ٨ / ص ٣٠٨) كتَاب الْمَظَالِمِ وَالْغَصْبِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى{وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ} باب لَا يَظْلِمُ الْمُسْلِمُ الْمُسْلِمَ وَلَا يُسْلِمُهُ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٥ــ تعتمد العلمانية علي مبدأ الميكيافيلية[١٢٠] في فلسفة الحكم والسياسة والأخلاق[١٢١]. وهو مبدأ يقوم علي أن الغاية تبرر الوسيلة مهما كانت هذه الوسيلة منافية للدين والأخلاق، ومهما كانت حسنة أو سيئة.....

وأعطي مكيافيللي (صاحب كتاب الأمير) الشرعية للوسائل الخسيسة التي يستخدمها الحاكم من كذب وغش وخديعة وقتل وسفك دماء... والقرن العشرون خير نموذج لما نقول، فقد قامت في هذا القرن أبشع دكتاتوريات التاريخ!

..... فقد انحدرت العلمانية في تبرير الوسيلة بالغاية، وكلتا الوسيلة والغاية ما أنزل الله بها من سلطان! [١٢٢].

واتخذ المنحرفون هذا الاتجاه سبيلا إلي الإفساد في الأرض، والاستهانة بالفضائل الإنسانية والأخلاق الربانية، ليحققوا غايات فردية أو جماعية، أودت بمن أخذ بها من الشعوب والأمم إلي الدمار العام والشامل.

فالأرض أمست كلها مجال لمؤامرات ودسائس بغير حساب.

أرادوا انقلابا هنا... وأرادوا تغييرا هناك!

وسرعان ما تنقلب الأرض وتتغير الأحوال!

---

(١٢٠) نسبة إلي ميكافيلي (١٤٦٩ ــ ١٥٢٧م) وهو أول المفكرين السياسيين الأوربيين ، وهو إيطالي الجنسية ، اشتهر بكتابه (الأمير) الذي دعا فيه دعوة صريحة إلي فصل السياسة عن الدين والأخلاق ، ووضع مبدأ عمليا لها وهو (الغاية تبرر الوسيلة). انظر: كواشف زيوف ص٣٨٠.

(١٢١) الموسوعة الميسرة ج٢ ص ٦٩٢.

(١٢٢) انظر: مذاهب فكرية معاصرة ص ٤٦٧ ــ ٤٦٨) مرجع سابق.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والوسائل كلها حلال!

الكذب والغش والتصفية الجسدية وشراء الضمائر بالمال!

المهم أن تنفذ الغاية.. والغاية والوسيلة كلتاهما غارقة في الأوحال!

(إن الرذائل الخلقية التي تقتضيها الميكافيلية مقبولة عند دعاتها إذا كانوا يمارسونها هم ضد غيرهم، ومرفوضة إذا كان غيرهم يمارسها ضدهم، وهذا تناقض منطقي بدهي، لا يلتزم به من يحاكم الأمور بعقله، ولكن يكابر فيه من يحاكم الأمور بأهوائه، وشهواته، ومصالحه الخاصة.

أن من المعروف في الحياة أن لكل إنسان، ولكل مجموعة بشرية، مطالب نفسية، وحاجات جسدية، وأنه لابد لتحقيق أي مطلب من مطالب النفس، وأية حاجة من حاجات الجسد من اتخاذ وسيلة إلي ذلك.

فهل يصح في عقل أي إنسان عاقل اتخاذ أية وسيلة في الدنيا، مهما كان شأنها عظيما، لأية حاجة مهما كان شأنها حقيرا تافها؟

فإذا كانت الغايات مطلقا تبرر أية وسيلة دون قيد أو شرط، فما أجدر الميكافيلي الذي يأخذ هذه الفكرة الفاسدة أن ينحدر إلي أخس مرتبة يمكن أن تتصور في الوجود، ويرد إلي أسفل سافلين[١٢٣].

٦ ــ نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية وتهديم كيان الأسرة.

تحررت المرأة فتحللت من القيود كلها، وفي مقدمتها قيود الدين وقيود الأخلاق.

---

(١٢٣) انظر: كواشف زيوف ص ٣٨٢ وما بعدها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وطالبت بالمساواة مع الرجل فرفضت أن يكون قيما عليها لأن القوامة لا تصلح بين الأنداد!

واشتغلت. فانشغلت عن مهمتها الأولى في تربية النشء..

وتفككت الأسرة وانحل البيت وتشرد الأطفال، وتكونت منهم عصابات جانحة ترتكب الجرائم لمجرد سد الفراغ.

وانحلت روابط المجتمع.... وانتشر الشذوذ لأسباب كثيرة.[١٢٤] هذه هي العلمانية التي أرادوها، وأرادوا نشرها في مجتمعاتنا العربية والإسلامية.

الإسلام يتنافى مع العلمانية:

إن الإسلام يقوم علي أساس إشباع عنصري الإنسان الروح والجسد، ورفع الازدواجية في حياة المرء، حيث وحد بين الدين والدنيا والآخرة، ومن ثم جعل الدنيا مزرعة للآخرة، ووازن بين العقيدة وبين الواقع الذي يعيشه المرء، فحكمت العقيدة هذا الواقع، وقننت لكل حركة من حركات الإنسان.

أما العلمانية فقد خلقت في الإنسان ثنائية زائفة حين جعلت (الدين مجرد شعائر وعلاقات بين العبد وربه دون أن تحكم هذه الشعائر حركة الإنسان وتنظم له قوانين التعامل، وأصبح علي الإنسان أن يختار أحد المصيرين، إما الدنيا فيخضع لكم قيصر وقوانينه ونظمه، ويعيش حياته كما يريد دون التزام ديني، وإما الآخرة فيخضع لأحكام الله وينسحب من الدنيا ويعيش حياة الزهد والرهبنة، وهذا ما يفسر لنا انتشار الرهبانية كنظام للحياة بعد فترة قصيرة من ظهور المسيحية[١٢٥].

---

(١٢٤) انظر: مذاهب فكرية معاصرة ص٤٧٨.

(١٢٥) انظر تهافت العلمانية د/ عماد الدين خليل ص٧٧ ط/ مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأصبحت حياة العلمانيين مبعثرة ممزقة لا يجمعها رباط ولا يشدها مصير، (يدخل الواحد منهم الكنيسة ليسجد لله ويلعن الطبيعة، ثم يخرج إلي المصنع أو البنك لينحني إلي الدولار ويكفر بالله.

يركض وراء العقل البشري يخطط له منهاجا في حياته الجماعية، ويسعى إلي الدين ليهبه الطريق في حياته الفردية، دنياه تتجه إلي اليسار، وآخر ته تتجه إلي اليمين، فإن أراد الدنيا ابتعد عن الآخرة وضاع منه مصيره الأبدي، وإن أراد الآخرة ابتعد عن الدنيا وضاع منه واقعه الذي يعيشه(١٢٦).

ثم إن العلمانية لما أشبعت في الإنسان الحياة المادية فقط وأهملت تماما الناحية الروحية والنفسية، لأنها استبعدت الدين من مجالات الدنيا، فغدت حضارتها عوراء لا تنظر إلي الإنسان إلا بعين واحدة، وعدمت الرؤية الكاملة للإنسان ومطالبه، فرغم ما قدمته له هذه الحضارة من وسائل راحة، وأسباب تقدم مادي، إلا أنها دمرت الإنسان، وأفقدته سعادته، وبات في تعاسة وبؤس وتمزق وقلق، وعجزت عن أن تقدم له السعادة والطمأنينة والسكينة وغيره من الأمور التي لا يشبعها إلا الإيمان بخالقها والالتزام بأوامره واجتناب نواهيه قال تعالى: {**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً**} الفتح٢٨

وبين الله تعالى هذه التعاسة لمن فقد الإيمان به في قوله تعالى: {**فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ**} الأنعام١٢٥.

(هذا ما يشهد به الواقع الماثل، وما أيده التاريخ الحافل، وما يلمسه كل إنسان بصير منصف، في نفسه وفيمن حوله.

---

(١٢٦) المرجع السابق ص ٨٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لقد علمتنا الحياة أن أكثر الناس قلقا وضيقا واضطرابا، وشعورا بالتفاهة والضياع هم المحرمون من نعمة الإيمان، وبرد اليقين.

إن حياتهم لا طعم لها ولا مذاق، وإن حفلت باللذائذ والمرفهات؛ لأنهم لا يدركون لها معنى، ولا يعرفون لها هدفا، ولا يفقهون لها سرا، فكيف يظفرون مع هذا بسكينة نفس، أو انشراح صدر؟.

إن هذه السكينة ثمرة من ثمار دوحة الإيمان، وشجرة التوحيد الطيبة، التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

فهي نفحة من السماء ينزلها الله علي قلوب المؤمنين من أهل الأرض، ليثبتوا إذا اضطرب الناس، ويرضوا إذا سخط الناس، ويوقنوا إذا شك الناس، ويصبروا إذا جزع الناس، ويحلموا إذا طاش الناس(١٢٧).

يقول الإمام ابن القيم ــ رحمه الله ــ (في القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال علي الله. وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله. وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته، وصدق معاملته. وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه، والفرار إليه.

وفيه نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه، ومعانقة الصبر علي ذلك إلي وقت لقائه.

وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه، ودوام ذكره، وصدق الإخلاص له، ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة أبدا)(١٢٨).

---

(١٢٧) انظر: الإيمان والحياة د / يوسف القرضاوي ص ٧٥ ، ٧٦ ط/ مؤسسة الرسالة الطبعة التاسعة عشر ١٤٢١هـ ٢٠٠١م

(١٢٨) مدارج السالكين ج٣ ص ١٧٢ ط/ دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إن إبعاد الدين عن مجالات الحياة في المجتمع الغربي نتج عنه ما يلي:

١ ــ الولوع في المشروبات الروحية.

٢ ــ الإدمان علي المخدرات.

٣ ــ الأمراض العصبية والنفسية.

٤ ــ الجرائم البشعة.

٥ ــ السعار الجنسي الرهيب.

٦ ــ الانتحار.

*** وإليك بعض الأرقام المذهلة عن أمراض المجتمعات العلمانية:**

١ ــ عدد الذين يدمنون الخمر في أمريكا يزيد عن ٥٠%.

٢ ــ عدد الذين يتعاطون المخدرات ٤٩% من الشعب الأمريكي.

٣ ــ ٥٥% من أسرة جميع المستشفيات مخصصة للمرضى العصبيين.

٤ ــ في السويد ٢٥% من الشعب مصاب بالأمراض النفسية، وتنفق الدولة ٣٠% من ميزانيتها لعلاجهم، ونسبة الموظفين الذين يخرجون من وظائفهم بسبب الأمراض النفسية ٥٠%.

أما عن أمراض الشذوذ الجنسي، وجرائم الاغتصاب والقتل في أمريكا فحدث عنها ولا حرج، فهناك ٩٠% من الشباب الأمريكي مصاب بأمراض الزهري والسيلان.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد صرح الرئيس الأمريكي كندي سنة ١٩٦٢م بأن ٨٥% من الشباب الذين يتقدمون للجندية غير صالحين، لأن الشهوات التي غرقوا فيها قد أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية (١٢٩).

والسؤال لماذا يرفض الإسلام العلمانية؟

يقول الفرد هوايت هيو: (ما من مسالة ناقض العلم فيها الدين إلا وكان الصواب بجانب العلم والخطأ حليف الدين) وهذا القول إن صح بين العلم واللاهوت في أوروبا فهو قول مردود ولا يصح بحال فيما يخص الإسلام حيث لا تعارض إطلاقاً بين الإسلام وبين حقائق العلم، ولم يقم بينها أي صراع كما حدث في النصرانية. وقد نقل عن أحد الصحابة قوله عن الإسلام: (ما أمر بشيء، فقال العقل: ليته نهى عنه، ولا نهى عن شيء فقال العقل ليته أمر به) وهذا القول تصدقه الحقائق العلمية والموضوعية وقد أذعن لذلك صفوة من علماء الغرب وفصحوا عن إعجابهم وتصديقهم لتلك الحقيقة في مئات النصوص الصادرة عنهم.

ولذلك فالإسلام يرفض العلمانية لما يلي:

لأنها تغفل طبيعة الإنسان البشرية باعتبارها مكونا من جسم وروح فتهتم بمطالب جسمه لا تلقي اعتبارا لأشواق روحه.

لأنها نشأت في البيئة الغربية وفقا لظروفها التاريخية والاجتماعية والسياسية وتعتبر فكرا غريبا في بيئتنا الشرقية.

لأنها تفصل الدين عن الدولة فتفتح المجال للفردية والطبقية والعنصرية والمذهبية والقومية والحزبية والطائفية.

---

(١٢٩) احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام ص ٢٤٠ نقلا عن الإسلام ومستقبل البشرية د/ عبد الله عزام ص٣٣

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لأنها تفسح المجال لانتشار الإلحادوعدم الانتماء والاغتراب والتفسخ والفساد والحلال. .

لأنها تجعلنا نفكر بعقليةالغرب، فلا ندين العلاقات الحرة بين الجنسين وندوس على أخلاقيات المجتمع، ونفتحالأبواب على مصراعيها للممارسات الدنيئة، وتبيح الربا وتعلي من قدر الفن للفن،ويسعى كل إنسان بسعاد نفس ولو على حساب غيرة.

لأنها تنقل إلينا أمراض المجتمع الغربيمن إنكار الحساب في اليوم الآخر ومن .

ثم تسعى لان يعيش الإنسان حياة متقلبةمنطلقة من قيد الوازع الديني، مهيجة الغرائز الدنيوية كالطمع والمنفعة، وتنازع إلبقاء ويصبح صوت الضمير عدما. .

.مع ظهور العلمانية يتم تكريس التعليملدراسة ظواهر الحياة الخاضعة للتجريب والمشاهدة وتهمل أمور الغيب من أيمان باشوالبعث والثواب والعقاب، وينشا بذلك مجتمع غايته متاع الحياة وكل لهو رخيص(١٣٠).

الآثار السيئة للعلمانية علي العالم الإسلامي:

انتقلت العلمانية إلي العالم الإسلامي عن طريق انحراف كثير من أبناء الأمة عن جادة الصواب وعدم التمسك بالسنة والكتاب، فانتشرت البدع والخرافات، والتمزق والانقسامات، والهجمات الشرسة للاستعمار من شرق وغرب، والغزو الفكري، والبعثات الخارجية.(١٣١)

---

(١٣٠) انظر الموسوعة الميسرة ج ٢ ص ٦٩٣ – ٦٩٤ وانظر المراجع السابقة

(١٣١) انظر:تفصيل ذلك حول العوامل التي ساعدت على انتقال الفكر العلماني إلى البلاد الإسلامية في المرجع الآتية: العلمانية د/ سفر الحوالي ص ٥١٥ ــ ٥١٧ ، و الإسلام قوة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد كان لتسرب العلمانية، وتسللها إلي العالم الإسلامي، أسوأ الآثار علي المجتمعات المسلمة، في دينهم ودنياهم.

ومن أبرز هذه الآثار:

١ ــ التراجع عن تطبيق الإسلام في شتى ميادين الحياة، والاستعاضة عن الشريعة الإسلامية بالقوانين الغربية والأنظمة الوضعية، وظهور من يدعي بأن الاحتكام إلي الشريعة الإسلامية، وتطبيقها تخلفا ورجعية، والزعم بأنها لا تتوافق مع الحضارة الحديثة.

٢ ــ تسخير التعليم ليخدم الفكر العلماني، ويرسخ مبادئه بوسائل متباينة منها:

أ ــ بث الأفكار العلمانية في ثنايا مقررات الدراسة.

ب ــ محاولة منع تدريس نصوص معينة تتعارض مع فكرهم، وتتباين مع أغراضهم.

ج ــ تهميش مادة الدين ومحاولة التقليل من أهميته وتقليص الفترة الزمنية له.

د ــ ابتار النصوص الشرعية، ولي عنق النص ليخدم الفكرة العلمانية.

٣ ــ محاولة غرس فكرة تقارب الأديان، وتعمد إذابة الفوارق بين الرسالات، وصهر الجميع في بوتقة واحدة.

=الغد العالمية . باول شمتز ص٧٨، خصائص التصور الإسلامي الأستاذ سيد قطب ص١٣١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤ ــ تهديم كيان الأسرة باعتبارها النواة الأولى للمجتمع،بإشاعة الفاحشة والرذيلة، ونشر الإباحية والفوضى الأخلاقية، ومحاربة الحجاب وفرض السفور.

فـ (العلمانيون في العالم الإسلامي يعرفون بالاستهانة بالدين، والتهكم والاستهزاء بالمتمسكين به، كما يعرفون بإثارة الشبهات، وإشاعة الفواحش ــ كالسكر، والتبرج، والاختلاط المحرم ــ ونشر الرذائل، ومحاربة الحشمة والفضيلة، والحدود الشرعية، والاستهانة بالسنن، كما يعرفون أيضا بحب الفساق والكفار والإعجاب بمظاهر الحياة الغربية وتقليدها)[١٣٢].

٥ ــ إعلان الحرب علي الدعوة، واضطهاد دعاة الإسلام في كل مجال من مجالات الحياة، وإلصاق التهم الباطلة بهم، ورميهن بالتخلف والرجعية.

٦ ــ إزالة رابطة الدين والأخوة الإسلامية، والاستعاضة عنها برابطة القومية أو الوطنية.

٧ ــ استهجان فريضة الجهاد، واستنكار المقاومة ضد الغزاة والمحتلين، ووصفهم بالإرهابيين، والهمجيين، والمتطرفين.

هذه بعض الآثار السيئة والثمار الخبيثة لما ظهر في عالمنا الإسلامي من شجرة علمانية خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار.

حكم الإسلام في العلمانية:

لما يئس أعداء الأمة عن زحزحة المسلمين عن عقيدتهم بطرقة مباشرة، حاولوا أن يزحزحوهم بطريقة غير مباشرة، فلم يجرؤا علي المطالبة بترك العقيدة،

---

(١٣٢) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١١١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والابتعاد عن ثوابتها، ولكنهم لم ييئسوا من دفع شريحة من أبناء الأمة الذين ألبستهم عباءة الريادة والقيادة، إلي فرض قوانين الغرب ونظمهم، وعزل شريعتنا وأنظمتنا، بزعم التقدم والرقي والحضارة.

لكننا نقول لهم: إن الدين الحق لا يمكن ابتداء أن يكون عقيدة مفصولة عن الشريعة.

فالالتزام بالشريعة ــ في دين الله الحق ــ هو مقتضى العقيدة ذاتها. مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله.. بحيث لا تكون الشهادة صحيحة وقائمة إن لم تؤد عند صاحبها هذا المعنى، وهو الالتزام بما جاء من عند الله، والتحاكم إلي شريعة الله، ورفض التحاكم إلي أي شريعة سوى شريعة الله.

قال تعالى: {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً} النساء٦٥

يقول ابن تيمية: (والمقصود هنا أن كل من نفاه الله ورسوله من مسمى أسماء الأمور الواجبة كاسم الإيمان والإسلام والدين والصلاة والصيام والطهارة والحج وغير ذلك فإنما يكون لترك واجب في ذلك المسمى... ومن هذا قوله تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون.....) فلما نفى الإيمان حتى توجد هذه الغاية دل ذلك على أن الغاية فرض على الناس فمن تركها كان من أهل الوعيد)(١٣٣).

لقد نزل هذا الدين ليعطي التصور الصحيح لحقيقة الألوهية وحقيقة العبودية، وليقيم في عالم البشر واقعا محكوما بهذا التصور، منبثقا عنه، مرتبطا به، متناسقا معه في كلياته وجزئياته، لا يتصادم معه ولا ينحرف عنه.

---

(١٣٣) انظر: مذاهب فكرية معاصرة ص ٤٩٦ نقلا عن كتاب الإيمان لابن تيمية ص ٣٣ ط/ دار الطباعة المحمدية بالقاهرة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن ثم فإن الإسلام يرفض العلمانية بصورتيها رفضا قاطعا، لأنها تتباين مع تعاليم الإسلام.

فإقامة الدولة في الإسلام ضرورة لابد منها، وذلك لإنفاذ الأحكام، وتطبيق الأنظمة الشرعية، وصيانة الحقوق، والوصول إلي تحقيق أهداف الدين في حفظ كلياته الخمس، الدين والنفس والعقل والمال والعرض.

والمتأمل في هذا الدين، يجد أن أوامر الله تعالى، ونواهيه قد شملت الحياة بأسرها، فليس هناك جانب من جوانب الحياة أو شيء من نظمها إلا ولله تعالى فيه حكم، وله فيه أمر، أو نهي، وقد وضع سبحانه أصولا للتعامل فيها، وفصل للأمة بعض جوانبها تفصيلا، سواء أكان في الجانب العقدي، أم السياسي، أم الاجتماعي، أم الاقتصادي، أم التربوي،أم غير ذلك.

قال تعالى: (**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**) النحل٨٩

قال الأمام ابن كثير ــ رحمه الله ــ قال ابن مسعود رضي الله عنه قد بينا لنا في هذا القرآن كل علم وكل شيء، وقال مجاهد: كل حلال وكل حرام، وقول ابن مسعود أعم وأشمل، فإن القرآن اشتمل على كل نافع من خبر ما سبق، وعلم ما سيأتي، وكل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم)[١٣٤].

---

(١٣٤) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير عند تفسيره لهذه الآية. ط/ دار الكتب العلمية بيروت .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويتبين حكم الإسلام في العلمانية فيما يلي:

١ ــ العلمانية من الجانب العقدي تعني التنكر للدين وعدم الإيمان به، وترك العمل بأحكامه، وحدوده، وهذا كفر صريح.

٢ ــ العلمانية في الجانب التشريعي تعني فصل الدين عن الدولة، أو فصل الدين عن الحياة كلها، وهذا يعني الحكم بغير ما أنزل الله.

وقد فصل العلماء الحكم فيمن يحكم بغير ما أنزل الله على النحو التالي:

أ ــ إذا وقع الحكم بغير ما أنزل الله تعالى والحاكم ــ سواء أكان فردا أم مجموعة ــ يعتقد أن حكم الله غير صالح أو غير جدير، أو إن حكم القوانين أصلح وأتم وأشمل

لما يحتاجه الناس... أو اعتقد أن حكم القوانين مساوية لحكم الله ورسوله، أو اعتقد جواز الحكم بغير بما يخالف حكم الله ورسوله ونحو ذلك فهو كفر اعتقاد مخرج عن الملة(١٣٥).

ومن ثم فالعلماني يقع في ناقض من نواقض الإيمان (فمن اعتقد أن غير هدي النبي صلى الله عليه وسلم:أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يفضل حكم الطواغيت علي حكمه فهو كافر)(١٣٦).

ويوضح الشيخ ابن باز حكم العلماني بقوله رحمه الله: (من اعتقد أن الأنظمة والقوانين التي يسنها الناس أفضل من شريعة الإسلام أو أنها مساوية لها، أو أنه يجوز التحاكم إليها، ولو اعتقد أن الحكم بالشريعة أفضل أو نظام الإسلام لا

---

(١٣٥) انظر: تحكيم القوانين للشيخ محمد إبراهيم ص ١٦ ــ ٢٠ بتصرف.

(١٣٦) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ج٦ ص ٢٥٨. الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يصلح تطبيقه في القرن العشرين، أو أنه كان سببا في تخلف المسلمين، أو انه يحصر في علاقة المرء بربه دون أن يتدخل في شئون الحياة الأخرى، ويدخل في القسم الرابع ــ أي من نواقض الإيمان ــ أيضا: من يرى أن إنفاذ حكم الله في قطع يد السارق، أو رجم الزاني المحصن لا يناسب العصر الحاضر، ويدخل في ذلك أيضا كل من اعتقد أنه يجوز الحكم بغير شريعة الله في المعاملات أو الحدود أو غيرهما، وإن لم يعتقد أن ذلك أفضل من حكم الشريعة: لأنه بذلك يكون قد استباح ما حرمه الله إجماعا، وكل من استباح ما حرم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة كالزنا والخمر والربا والحكم بغير شريعة الله فهو كافر بإجماع المسلمين)[١٣٧].

ب ــ أما إذا وقع الحكم بغير ما أنزل الله عن جهل، أو ضعف، أو عن هوى في النفس، أو غرض دنيوى، مع الاعتقاد بأن حكم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم أحق وأصلح وأجدر، وأنه أفضل من القوانين الوضعية فهذا كفر عملي، وهو فسق وظلم تقام الحجة على صاحبه، ويبين له الحق، ويجب على المسلم أن يتوب إلي الله تعالى، ويرجع إليه [١٣٨].

والدليل على ذلك فهم السلف رضوان الله عليهم لقول الله تعالى: {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} المائدة٤٤

حيث قال ابن عباس رضي الله عنهما: (ليس بكفر ينقل عن الملة)، وقال عطاء (كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق)[١٣٩].

---

(١٣٧) انظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ج ١ ص ١٣٢ جمع وترتيب وإشراف د/ محمد بن سعد الشويعر الطبعة الرابعة ١٤٢٣هـ ط/ رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء.

(١٣٨) انظر: الموجز في الأديان ص١١١ ، وتحكيم القوانين ص٢٤.

(١٣٩) انظر: تفسير الطبري (جامع البيان) عند تفسيره لهذه الآية ط/ دار الكتب العلمية بيروت ، وتفسير ابن كثير كذلك ، ومدارج السالكين ج١ ص ٣٦٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يقول القاضي أبو العز الدمشقي: (وهنا أمر يجب أن يتفطن له، وهو: أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفرا ينقل عن الملة، وقد يكون معصية: كبيرة أو صغيرة، ويكون كفرا: إما مجازيا، وإما كفرا أصغر، على القولين المذكورين. وذلك بحسب حال الحاكم: فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب، وأنه مخير فيه، أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله؛ فهذا كفر أكبر، وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله، وعلمه في هذه الواقعة، وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة؛ فهذا عاص، ويسمى كافرا كفرا مجازيا، أو كفرا أصغر. وإن جهل حكم الله فيها، مع بذل جهده، واستفراغ

سعه في معرفة الحكم وأخطأه، فهذا مخطئ، له أجر على اجتهاده، وخطؤه مغفور)[١٤٠].

٣ ــ أما من الجانب الأخلاقي فالعلمانية تعني: التحلل والرذيلة، والانفلات والفوضى الأخلاقية، وإشاعة الفاحشة، والشذوذ الجنسي، والاستهانة بالثوابت الشرعية، والفضائل والأخلاق الدينية، وهذا ضلال مبين وفساد في الأرض، ومن العلمانيين من يرى أن السنن والآداب الشرعية والأخلاق الإسلامية إنما هي تقاليد موروثة، وهذا تصور جاهلي منحرف[١٤١].

وإن الباحث المدقق في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لينتهي من خلال بحثه إلي أن العلمانية دعوة مرفوضة في الإسلام، لأنها دعوة إلى ترك الحكم بم أنزل الله للاحتكام إلي حكم الجاهلية، والله تعالى يقول: {**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ**

(١٤٠) شرح العقيدة الطحاوية لأبي العز الدمشقي جـ ٢ صـ ٤٤٦. تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي ، وشعيب الأرناؤوط ط/ مؤسسة الرسالة.

(١٤١) انظر: الموجز في الأديان ص ١١١ بتصرف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاء اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} المائدة٤٨

فقوله تعالى (فاحكم بينهم بما أنزل الله) (أي فأحكم يا محمد بين الناس: عربهم وعجمهم، أميهم وكتابيهم بما أنزل الله إليك هذا الكتاب العظيم، وبما قرره لك من حكم من كان قبلك من الأنبياء، ولم ينسخه في شرعك)[١٤٢].

وقوله تعالى: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} المائدة٥٠

(ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله؛ كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات ممن يضعونها بآرائهم وأهوائهم... ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه، وآمن به، وأيقن، وعلم أن الله أحكم الحاكمين، وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها، فإنه تعالى هو العالم بكل شيء، القادر على كل شيء، العادل في كل شيء)[١٤٣].

---

(١٤٢) انظر: تفسير ابن كثير عن تفسيره لهذه الآية.

(١٤٣) المرجع السابق عند تفسيره لهذه الآية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المطلب الثالث

القومية

توطئة

إن العالم قبل أن يرى نور هذا الدين، ويسطع فيه ضياؤه كان في حالة تمزق وشتات لا تربطه إلا العصبيات المذمومة، والقوميات االممقوتة، والنزعات العرقية الضيقة.

(وجاء الإسلام فوجد الناس يتجمعون على آصرة النسب، أو يتجمعون على آصرة الجنس، أو يتجمعون على آصرة الأرض، أو يتجمعون على أصرة المصالح والمنافع القريبة، وكلها عصبيات لا علاقة لها بجوهر الإنسان، إنما هي أعراض طارئة على جوهر الإنسان الكريم، وقال الإسلام كلمته الحاسمة في هذا الأمر الخطير الذي يحدد علاقات الناس بعضهم ببعض تحديدا أخيرا.

قال: إنه لا لون ولا جنس ولا نسب ولا أرض ولا مصالح ولا منافع هي التي تجمع بين الناس أو تفرق، إنما هي العقيدة.. إن آصرة المجتمع هي العقيدة، إن العقيدة هي أكرم خصائص الروح الإنساني، فأما إذا نبتت هذه الوشيجة فلا آصرة ولا تجمع ولا كيان. إن الإنسانية يجب أن تتجمع على أكرم خصائصها لا على مثل ما تتجمع عليه البهائم من الكلأ والمرعى أو من الحد والسياج.

والأمة هي المجموعة من الناس تربط بينها آصرة العقيدة وهي جنسيتها وإلا فلا أمة لأنه ليس هناك آصرة تجمعها، والأرض والجنس واللغة والنسب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والمصالح المادية قريبة. لا تكفي واحدة منها ولا تكفي كلها لتكوين أمة إلا أن تربط بينها رابطة العقيدة)[١٤٤].

وهكذا سما الإسلام بنفسه فوق الأجناس والألوان وخاطب الشعوب جميعا ابتغاء توحيدها في أمة واحدة متآخية لا تعرف لإنسان فضلا يباهي به إلا باستمساكه بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها.

وما أن ظهر الإسلام حتى نادى في الناس أن اتركوا كل هذه الروابط الجاهلية واتحدوا في أمة واحدة شعارها لا إلا إله إلا الله محمد رسول الله فخاطبهم بقوله: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} الأنبياء٩٢

{وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ} المؤمنون٥٢

وفي خطواته الأولى بعد الهجرة آخى المؤاخاة الفذة في التاريخ، وهي التي عقدها صاحب الشريعة النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه، وطبقها بإشرافه، وأقام على أساسها أول مجتمع ينشؤه، وأول دولة يبنيها!.

ووصلت المؤاخاة إلى حد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد آخى بين أناس من أشراف القبائل العربية وبين الموالي من الفرس والروم، وكان بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي في القمة من ذلك المجتمع، مع السادة من قريش، حتى قال الرسول صلى الله عليه وسلم: سلمان منا آل البيت.

وكان عمر رضي الله عنه وهو في الذؤابة من قريش يقول عن بلال: (سيدنا بلال) وهي قمة لم تصل إليها البشرية في تاريخها كله إلا في أمة العقيدة..

---

(١٤٤) انظر: هذا الدين الأستاذ سيد قطب ص٨٣ ط/ دار الشروق.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهذه الأخوة في بعض معانيها ــ في مطلع العهد المدني ــ تأكيد عملي للارتقاء بهذه الرابطة الإيمانية فوق جميع الروابط الأخرى بما فيها النسب، وهكذا يتحقق في واقع الحياة العملي المعنى الذي يسعى إليه هذا الدين(١٤٥)

إن الوحدة الإسلامية بوجود الخلافة التي يدين لها أكثر المسلمين بالولاء والطاعة، من الأمور التي جاهد أعداء الأمة للقضاء عليها.

وخوف الغرب من الوحدة الإسلامية العربية – رغم ضعف المسلمين في القرون الأخيرة، أشد من خوفه من أي خطر آخر.

لماذا يخاف الغرب المسلمين ولا يخاف اليهود أو غيرهم؟

وتأتي الإجابة علي لسان لورانس براون: (إن المسلمين يختلفون عن اليهود لأن الإسلام دين دعوة، وهو ينتشر بين النصارى أنفسهم وبين غير النصارى، وقد كان للمسلمين كفاح طويل في أوربة فأخضعوها في مناسبات كثيرة، والمسلمون لم يكونوا يوما ما – مثل اليهود – أقلية موطوءة بالأقدام، ولا يمكن أن نجد مكانا يمكن أن يصبح المسلمون فيه أقلية مثل هذه إلا في فلسطين والهند.

ثم يقول براون: لقد كنا نخوف بشعوب مختلفة بدون مبرر، إننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا ولم نجدهم خطرا علينا، وعلي هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا الألد، ثم رأينا خطأ التهديد بالخطر الشيوعي إذ وجدنا البلاشفة حلفاء لنا، أما الخطر الأصفر (الذي يتمثل في الشعوب الصفر مثل اليابان) فإن هناك دولا ديمقراطية

---

(١٤٥) انظر: سيرة ابن هشام ج١ ص ٥٠٧ ط/ دار الكتب العلمية بيروت، وفقه السيرة النبوية / منير محمد الغضبان ص ٣٥٨ ط/ مركز بحوث الدراسات الإسلامية مكة المكرمة، والسيرة النبوية تربية أمة وبناء دولة / صالح أحمد الشامي ص ١٥٥ ط/ المكتب الإسلامي، والسيرة النبوية دروس وعبر د/ مصطفى السباعي ص ٨٧ ط/ المكتب الإسلامي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كبيرة تتكفل بمقاومتها، ولكن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام وفي قدرته على التوسع والإخضاع، وفي حيويته، إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي)[١٤٦]

لقد فزع أعداء الأمة أيما فزع من وحدة المسلمين، ونصوا على ذلك في أقوالهم، وتقاريرهم السرية.

يقول لورانس ــ منفذ سياسة بريطانيا آنذاك ــ:(إذا اتحد المسلمون في امبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرا، أو أمكن أن يصبحوا نعمة له أما إذا ظلوا متفرقين، فإنهم حينئذ يظلون بلا قوة ولا تأثير)[١٤٧].

ومن ثم كانت خطة أعداء الأمة هي القضاء على وحدة المسلمين وتمزيق الأمة الإسلامية بمثل هذه الطريقة من طرق الغزو الفكري طريقة القومية.

مفهوم القومية:

تطلق كلمة القومية ويراد بها أن أبناء الجنس الواحد واللغة الواحدة، والأصل الواحد، ينبغي أن يكون ولاؤهم واحدا، وإن تعددت أرضهم وتباينت أوطانهم.كما يراد بها أيضا:

(السعي للوصول إلي توحيد الوطن بحيث تجتمع القومية الواحدة في وطن شامل، فيكون الولاء للقومية مصحوبا بالولاء للأرض، ولكن يظل الولاء للقومية هو

---

(١٤٦) انظر: المدخل إلي الثقافة الإسلامية د / محمد رشاد سالم ص ٣٤ – ٣٥.بتصرف ط/ دار القلم س ١٤٠٧ ه / ١٩٨٧ م نقلا عن التبشير والاستعمار ص ١٨٤.ومذاهب فكرية معاصرة ص ٥٥٤ ط/ دار الشروق الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

(١٤٧) التبشير والاستعمار ص ٣٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأصل حتى وإن لم تتحقق وحدة الأرض)[١٤٨].

وأما عن تعريف القومية العربية فهي: (حركة سياسية فكرية متعصبة، تدعوا إلى تمجيد العرب، وإقامة دولة موحدة لهم، على أساس من رابطة الدم واللغة والتاريخ، وإحلالها محل رابطة الدين. وهي صدى للفكر القومي الذي سبق أن ظهر في أوربا)[١٤٩].

وأيا كانت التعريفات النظرية للقومية، فالمهم أن تعرف بادئ ذي بدء أن منشأها في أوربا، ثم تعدى آثارها التي ترتبت عليها في التاريخ البشري الحديث أخبث وأشد ما يقضى على أي وحدة أمة وتفككها.

كانت أوربا في وقت من الأوقات وحدة سياسية تجمع قوميات ولغات وأجناسا شتى، في ظل الأمبراطورية الرومانية.

ثم بدأت في الظهور حركات إصلاحية مبتورة غير ناضجة، استغلها ذوو الأهواء لحسابهم الخاص، فأفسدوا هذه الوحدة وحولوها إلى اتجاه شرير..

على أن الشر الذي نجم من القوميات لم يكن شرا شخصيا ينتهي أمره بهبوط أصحابه عن إنسانيتهم وقبوعهم في داخل حدودهم وهم متشحون بذلك الهبوط.

كلا! ليس ذلك من (شيم) القوميات.

وبدت آثار القومية في التعدي من مكان إلى آخر حتى تعددت التجمعات التي قامت في العالم على أساس قومي.. وإن تسترت أحيانا وراء مختلف العناوين!

لكنها تطورت خلال التاريخ المعاصر، وبرزت آثارها الشريرة في حياة

---

(١٤٨) مذاهب فكرية معاصرة الأستاذ محمد قطب ص ٥٥٤.

(١٤٩) الموسوعة الميسرة ج ١ ص ٤٤٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العالم كله، حتى غدت (المصالح القومية) هي الأصل المعترف به في دنيا النـــاس، على حساب القيم والمبادئ وكل معنى من معاني (الإنسانية) عرفته البشرية في يوم من الأيام.

(في هذه الأثناء كانت فكرة القوميات والعرقيـــات تـــشيع فـــي أوربـــا[١٥٠] وتمزقها إربا بعد أن كانت الرابطة هناك تقوم على أساس الدين إذ راحت كل دولـــة تبحث عن أصلها ولغتها وجنسها وتحاول إحياء ذلك ــ على حساب الدين النصراني كعامل ربط بينهم لفترة طويلة.

إن الجانب المهم من الموضوع مازال في حاجة إلـــى بيـــان.. ذلـــك هـــو (تصدير) دعاوى القومية إلى العالم الإسلامي.

لما انتهوا من تفكك أوربا، أخذوا يفكرون في إضعاف قوة الأمة الإسلامية، وتمزيق وحدتها كما فعلوا بأوربا.

ولكن ما الطريق إلى تمزيق هذه الوحدة الإسلامية؟

الطريق هو بذر بذرة الوطنية أولا في العالم الإســـلامي. ثـــم يجـــيء دور القومية بعد ذلك فيتحقق لهم أهداف كثيرة أبرزهـــا:

(تحويل حركات الجهاد الإسلامي ضد الاستعمار الصليبي إلـــى حركـــات وطنية، كما فعل سعد زغلول في مصره وغيره من الزعماء (الوطنيين) على اتساع العالم الإسلامي. والحركة الوطنية تفترق عن حركة الجهاد الإسلامي بادئ ذي بدء في أنها لا تنظر إلى (العدو) على أنه (صلبي مستعمر) ولكن على أنـــه (مـــستعمر)

---

(١٥٠) انظر: احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام د/ سعد الدين صـــالح ص ١٤٩ ط/ مكتبة الصحابة الإمارات مكتبة التابعين القاهرة الطبعة السابعة ١٤٢٠ هـــ ٢٠٠٠م. نقـــلا عن من المجتمع العربي د/ صوفي أبو طالب وآخرون ص ١٨٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فقط.. وفرق واضح في درجة العداء وطريقة المجاهدة بين أن يكون العدو منظورا إليه على حقيقته، وبين أن يكون مغلفا برداء الاستعمار فحسب)[١٥١].

ثم بعد دور الوطنية، جاء دور القوميات فنقلوا إلى العالم الإسلامي النزعات القومية والعرقية، وإحياء الحضارات الجاهلية القديمة البائدة. مثل الطورانية في تركيا، والفارسية في إيران، والقومية العربية في العالم العربي، والقومية البربرية في الغرب العربي، وجندوا لهذه الدعوات رجالا من بني جلدتنا، ويتحدثون بلغتنا.

تاريخ ظهور القومية العربية:

ظهرت بدايات الفكر القومي في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين متمثلة في حركة سرية تألفت من أجلها الجمعيات والخلايا في عاصمة الخلافة العثمانية، ثم في حركة علنية في جمعيات أدبية تتخذ من دمشق وبيروت مقراً لها، ثم في حركة سياسية واضحة المعالم في المؤتمر العربي الأول الذي عقد في باريس سنة ١٩١٢م[١٥٢]

وقد تبنت الجامعة الأمريكية بعد ذلك الدعوة لهذه الفكرة الخبيثة، كما يقول (مايلز كوبلاند): (في الجامعة الأمريكية في بيروت ولدت فكرة القومية العربية وترعرع دعاتها، حتى إن أكثر من ٩٠%من الدعاة للقومية العربية كانوا من خريجي الجامعة الأمريكية)[١٥٣].

---

(١٥١) مذاهب فكرية معاصرة الأستاذ محمد قطب ص٥٧٧ ــ ٥٧٨

(١٥٢) الموسوعة الميسرة ج ١ ص ٤٤٨.

(١٥٣) احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام د/ سعد الدين صالح ص١٥٣ نقلا عن لعبة الأمم ص ٢١٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذا وقد ظلت الدعوة إلى القومية العربية محصورة في نطاق الأقليات الدينية غير المسلمة، وفي عدد محدود من أبناء المسلمين الذين تأثروا بفكرتها، ولم تصبح تياراً شعبياً عاماً إلا حين تبنى الدعوة إليها الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر حين سخر لها أجهزة إعلامه وإمكانات دولته. ويمكن أن يقال إنها الآن تعيش فترة انحسار أو جمود على الأقل.

ومن ثم يتبين لنا أن أول من نادى بالقومية العربية هم نصارى لبنان وسوريا، وبعض (المسلمين) الذين تربوا في مدارس التبشير، ورضعوا لبن الغرب النصراني وتربوا على موائده وفكره، ثم انضم إليهم المستغفلون من المسلمين الذين لم يجدوا تعارضا بين الإسلام والعروبة علي أساس أن العروبة هي عصب الإسلام، وأن العرب هم الذين حملوا الإسلام إلي البشرية(١٥٤) .

ومن هؤلاء الذين حملوا لواء الدعوة إلى القومية العربية: بطرس البستاني الذي أصدر عددا من المنشورات، شعارها (حب الوطن من الإيمان) وأسس في سنة ١٨٦٣م مدرسة خاصة على أساس وطني تدرس فيها فكرة القومية العربية، وراح يشيد بالقومية العربية، وبذلك كان أول نصراني يدعو إلى العروبة، ويتكلم باعتزاز عن الدم العربي الذي يجري في عروقه، ويعد ساطع الحصري ١٨٨٠-١٩٦٨م داعية القومية العربية وأهم مفكريها وأشهر دعاتها، وله مؤلفات كثيرة تعد الأساس الذي يقوم عليه فكرة القومية العربية، ويأتي بعده في الأهمية مشيل عفلق(١٥٥).

---

(١٥٤) مذاهب فكرية معاصرة أ.محمد قطب ص ٥٨١ مرجع سابق.

(١٥٥) الموسوعة الميسرة ج ١ ٤٤٩ – ٤٥٠ وانظر: العرب والإسلام الأستاذ / أبو الحسن الندوي ص ٩٢ – ٩٣ ط المكتب الإسلامي بيروت ط ٣ س ١٤٠١ ه ٠والاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر د/ محمد حسين ج٢ ص ٩٩ وما بعدها ط/ دار الرسالة مكة المكرمة الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(والنصارى في لبنان وسوريا كانوا جزءا من أدوات أوربا لإزعاج (الرجل المريض) وإرباكه، بغية تسهيل القضاء عليه وتوزيع تركته بين المتربصين الذين ينتظرون الساعة (العظمى) التي يقضون فيها على بقايا الإسلام.

وما كان نصارى لبنان وسوريا في تلك الفترة يجرؤون أن يخرجوا على الحكم الإسلامي علانية وبالاسم الصريح للخروج. فقد كانوا أقلية محوطة بأكثرية مسلمة، تدين بالولاء القلبي والسياسي لدولة الخلافة، ولا تتصور لنفسها حكومة غير الحكومة الإسلامية. لذلك فلم يكن في وسع أولئك النصارى أن يقولوا: لا نريد حكم الإسلام علينا ولا نريد حكم الخلافة الإسلامية! ولذلك كان نشاطهم سريا من جهة، وباسم غير اسم الخروج على الحكم الإسلامي من جهة أخرى.. كان نشاطهم يقوم باسم العروبة والقومية العربية، وهو شعار يمكن أن يلتبس فيه الأمر على المسلمين العرب، ولا يروا ــ لغفلتهم ــ أنه موجه ضد الإسلام.. وضدهم هم!

كانت دعوى القومية الطورانية تحز في نفوس العرب المسلمين فينفخ الشياطين في الحزازة لتشتعل. وكان يقال لأولئك العرب المسلمين أنتم أولى بالخلافة من أولئك الطورانيين! فلماذا تسكتون على الظلم؟ لماذا لا تثورون وتستقلوا عن الأتراك؟

وكان عبد الحميد يقظا للعبة كلها ولكن أحوال دولة الخلافة يومئذ وأحوال المسلمين جميعا في العالم الإسلامي. كانت أضعف من أن تصمد للكيد.. فمضى الكيد في سبيله حتى بلغ غايته.....

وجرت الأمور في مجراها المقدر في علم الله. ولكن بسبب من غفلة المسلمين التي مكنت الأعداء من تنفيذ مخططاتهم. والله يحذرهم من كتابه المنزل: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ**

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ} آل عمران١١٨

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} المائدة٥١

ومع ذلك التحذير فقد كان مسلمون يتولون اليهود في حزب الإتحاد والترقي، ومسلمون آخرون يتولون النصارى في الجمعيات السرية القائمة باسم العروبة والقومية العربية. ومسلمون آخرون يتولون (لورنس العرب!) ويتبعونه وهو يدعوهم إلى قتال دولة الخلافة التي ظلت تحميهم من الغزو الصليبي قرابة أربعة قرون!.....

ولكن أمرا حدث لم يكن على خاطر الصليبيين واليهود... فوجئوا به جميعا مفاجأة لم تكن في الحسبان.. فقد اشترك في القتال فدائيون مسلمون، يحرصون على الموت حرص أعدائهم على الحياة. وحين عركهم اليهود وعرفوا حقيقتهم، كانوا إذا جابهوهم يفرون من مستعمراتهم، تاركين أسلحتهم وذخيرتهم ومئونتهم لينجوا بجلدهم!

كانت المفاجأة من جهتين..

فقد كان الصليبيون واليهود يظنون أن الإسلام كله قد شاخ ولم يعد بوسعه أن يخرج مثل هذه العينات من البشر، وكانت المفاجأة الثانية أنهم ظنوا أن مصر بالذات التي عمل الصليبيون على دك معاقلها الإسلامية منذ وقت مبكر، منذ الحملة الصليبية الفرنسية بقيادة نابليون، لا يمكن أن تخرج هذه العينات الصلبة المستميتة في القتال بروح الجهاد إسلامية خالصة لا يردون بذلك جزاء ولا شكورا.

عندئذ تقرر أمران في وقت واحد..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأمر الأول ضرورة القضاء على حركة البعث الإسلامي التي أخرجت مثل هؤلاء المجاهدين.

والأمر الثاني ضرورة إيجاد بديل من الراية الإسلامية التي أخرجت أولئك المقاتلين وتوشك أن تمتد ظلالها من مصر إلى البلاد العربية الأخرى.

وكان البديل هو (القومية العربية)،

يقول جورج كيري ــ مؤلف كتاب موجز تاريخ الشرق الأوسط ــ: (إن القومية العربية ولدت في دار المندوب السامي البريطاني!!(١٥٦)

وقد ذكرت سابقا مقولة تدل على أن القومية العربية نشأت وترعرعت في الجامعة الأمريكية في بيروت مما يدل على المشاركة الإنشائية في بذر بذرتها الخبيثة من هاتين الدولتين فليتأمل وليتدبر!!!

عمد وقواعد القومية:

• يعلي الفكر القومي من شأن رابطة القربى والدم على حساب رابطة الدين، وإذا كان بعض كتاب القومية العربية يسكتون عن الدين، فإن بعضهم الآخر يصر على إبعاده إبعاداً تاماً عن الروابط التي تقوم عليها الأمة، بحجة أن ذلك يمزق الأمة بسبب وجود غير المسلمين فيها ويرون أن رابطة اللغة والجنس أقدر على جمع كلمة العرب من رابطة الدين.

• حيث إن أساسها إبعاد الدين الإسلامي عن معترك حياة العرب السياسية، والاجتماعية، والتربوية، والتشريعية فإنها تعد ردة إلى الجاهلية، وضرباً من ضروب

---

(١٥٦) مذاهب فكرية معاصرة الأستاذ محمد قطب ص ٥٨١ ــ ٥٨٥ بتصرف

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الغزو الفكري الذي أصاب العالم الإسلامي، لأنها في حقيقتها صدى للدعوات القومية التي ظهرت في أوروبا.

يصفها سماحة الشيخ ابن باز بأنها: " دعوة جاهلية إلحادية تهدف إلى محاربة الإسلام والتخلص من أحكامه وتعاليمه ". ويقول عنها: " وقد أحدثها الغربيون من النصارى لمحاربة الإسلام والقضاء عليه في داره بزخرف من القول.. فاعتنقها كثير من العرب من أعداء الإسلام واغتر بها كثير من الأغمار ومن قلدهم من الجهال وفرح بذلك أرباب الإلحاد وخصوم الإسلام في كل مكان ". ويقول أيضاً: "هي دعوة باطلة وخطأ عظيم ومكر ظاهر وجاهلية نكراء وكيد سافر للإسلام وأهله"(١٥٧).

يرى دعاة الفكر القومي – على اختلاف بينهم في ترتيب مقومات هذا الفكر– أن أهم المقومات التي تقوم عليها القومية العربية هي: اللغة والدم والتاريخ والأرض والآلام والآمال المشتركة(١٥٨).

• ويرون أن العرب أمة واحدة لها مقومات الأمة وأنها تعيش على أرض واحدة هي الوطن العربي الواحد الذي يمتد من الخليج إلى المحيط.

• كما يرون أن الحدود بين أجزاء هذا الوطن هي حدود طارئة، ينبغي أن تزول وينبغي أن تكون للعرب دولة واحدة، وحكومة واحدة، تقوم على أساس من الفكر العلماني.

• يدعو الفكر القومي إلى تحرير الإنسان العربي من الخرافات والغيبيات والأديان كما يزعمون.

---

(١٥٧) انظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ج ١ ص ٢٨٥. مرجع سابق

(١٥٨) المرجع السابق ج١ صر ٢٨٣

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

• لذلك يتبنى شعار: ((الدين لله والوطن للجميع)). والهدف من هذا الشعار، إقصاء الإسلام عن أن يكون له أي وجود فعلي من ناحية، وجعل أخوة الوطن مقدمة على أخوة الدين من ناحية أخرى.

• يرى الفكر القومي أن الأديان و الأقليات والتقاليد المتوارثة عقبات ينبغي التخلص منها من أجل بناء مستقبل الأمة.

• يقول عدد من قادة هذا الفكر: نحن عرب قبل عيسى وموسى ومحمد عليهم الصلاة و السلام.

• ويقرر الفكر القومي أن الوحدة العربية حقيقة أما الوحدة الإسلامية فهي حلم

• وأن فكرة القومية العربية من التيارات الطبيعية التي تنبع من أغوار الطبيعة الاجتماعية، لا من الآراء الاصطناعية التي يستطيع أن يبدعها الأفراد.

• كثيراً ما يتمثل دعاة الفكر القومي بقول الشاعر القروي:

هبوني عيداً يجعل العرب أمة وسيروا بجثماني على دين برهم

سلام على كفر يوحد بيننا وأهلاً وسهلاً بعده جهنم

• يقول بعض دعاة الفكر القومي: إن العبقرية العربية عبرت عن نفسها بأشكال شتى، فمثلاً عبرت ذات مرة عن نفسها بشريعة حمورابي، ومرة أخرى بالشعر الجاهلي، وثالثة بالإسلام.

• وقال أحد مشاهيرهم: لقد كان محمد كل العرب، فليكن كل العرب محمداً.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

• يرى دعاة الفكر القومي أن من الإجرام أن يتخلى العربي عن قوميته، ويتجاوزها إلى الإيمان بفكرة عالمية أو أممية، مع أن إبعاد الإسلام عن معترك حياة العرب ينهي وجودهم.

• يقول بعض مفكري القومية العربية: إذا كان لكل عصر نبوته المقدسة، فإن القومية العربية نبوة هذا العصر.

• ويقول بعضهم الآخر: إن العروبة هي ديننا نحن العرب المؤمنين العريقين من مسلمين ومسيحيين، لأنها وجدت قبل الإسلام وقبل المسيحية، ويجب أن نغار عليها كما يغار المسلمون على قرآن النبي والمسيحيون على إنجيل المسيح.

* ويقرر بعضهم الآخر أن المرحلة القومية في حياة الأمة، مرحلة حتمية، وهي آخر مراحل التطور كما أنها أعلى درجات التفكير الإنساني(١٥٩) .

آثار القومية علي العالم الإسلامي:

إن القومية تضيق علي الإنسان عالمه حين تصرفه عن النظرة العالمية الإنسانية، إلي نظرة عرقية، وجزئية جغرافية، ومصالح قومه المادية.

الأمر الذي يدفعها – حال قوتها – إلى الاعتداء على غيرها من القوميات؛ لتوسيع رقعتها وفرض سلطانها .

إن القومية تنبذ ما للإنسان فيه اختيار كالإيمان بالله وما جاء به رسل الله عليهم السلام .

إن فكرة القومية تقوم علي أمور لا خيار للإنسان فيها، من المولد في أرض معينة، والكلام بلغة الأرض والمجتمع الذي ولد فيه، وعلي المصالح المادية البحتة . . الخ.

---

(١٥٩) الموسوعة الميسرة ج ١ ص ٤٥٠ – ٤٥١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبالرغم من الآثار السيئة الناجمة عن نعرة القومية والوطنية، التي بدأت في أوربا، ثم قامت بتصديرها إلي الشرق الإسلامي، لتحارب المسلمين من الداخل، وتزعزع العقيدة في نفوسهم.

ويمكن إيجاز آثار القومية علي العالم الإسلامي فيما يلي:

١ ــ تمزيق وحدة العالم الإسلامي:

أصبح العالم الإسلامي بعد وحدته، واعتصامه بحبل الله، وترابطه الأخوي، أمة متنافرة، مشتتة، وقوميات ونزعات كثيرة متباينة، ولم يكتف أعداء الإسلام بذلك، بل إنهم بعد فترة من إحياء النزعات القومية قسموا أرض المسلمين على أساس منها، إلى مجموعات مختلفة(١٦٠) وبعد الحرب العالمية الأولى والثانية قسموا العالم الإسلامي إلى دول ودويلات وإمارات وصلت إلى سبعين وطنا، ووضعوا بين كل دولة حدودا جغرافية، وبذلك ضاعت هيبة العالم الإسلامي، وأصبح أعداء الإسلام قادرين على ضرب كل دولة على حدة(١٦١).

٢ــ تفريغ القضية السياسية والاجتماعية بوجه عام من المحتوى الإسلامي.

إن تيار فكرة القومية كانت مهمته إقصاء الإسلام، من القضية السياسية(١٦٢) والاجتماعية، وإحلال القومية محل الدين، وهذا ما كان يحلم به (لورانس براون) –

---

(١٦٠) احذروا الأساليب الحديثة ص ١٥٨ نقلا عن عقبات في طريق الإسلام د/ محمد البهي ص٤.

(١٦١) الغزو الفكري د / علي عبد الحليم ص ١١٠ ، و احذروا الأساليب الحديثة ص ١٥٨ .

(١٦٢) وهذا واضح وظاهر في قضية القدس فبعد أن كانت قضية المسلمين كلهم تقلصت بسبب القومية إلي قضية عربية ثم إلى قضية إقليمية ، ثم إلى قضية حدودية تخص دول الجوار ، ثم إلى شأن داخلي ، ومن ثم غدت دول إسلامية تخالف الدول العربية وتتعاون مع إسرائيل.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

منفذ السياسات البريطانية في بلادنا العربية آنذاك ــ إذ يصف ما كان يدور بخلده أثناء تنقله بين معسكرات أبناء الشريف حسين بحثا عن الزعيم العربي فيقول: (وأخذت طول الطريق أفكر في سوريا... وفي الحج، وأتساءل: هل تتغلب القومية ذات يوم على النزعة الدينية؟ وهل يغلب الاعتقاد الوطني الاعتقاد الديني؟ وبمعنى أوضح، هل تحل المشاكل العليا السياسة مكان الوحي والإلهام، وتستبدل سوريا مثلها الأعلى الديني بمثلها الأعلى الوطني؟... هذا ما كان يجول بخاطري طول الطريق.)[١٦٣].

وهذا ما تحقق بالفعل، وأصبحت الأمة التي كانت تستمد وجودها وتشريعاتها من الأصلين الكتاب والسنة، تستمد دساتيرها من المصلحة القومية والسياسية دون ارتباط بمنهج الله وشرعه.

٣ــ محبة غير المسلمين والإستنصار بهم على أعداء القومية من المسلمين.

القومية جعلت المسلم يفكر في وطنه قبل عقيدته، وفي جنسه قبل دينه، ويقدم الكافر إذا كان من عنصره أو وطنه على المسلم من عنصر آخر، أو في بلد آخر، ويسمي المسلم أجنبيا، ويتعامل معه معاملة الأجانب[١٦٤].

ومن ثم فقد استبدلوا رابطة الإسلام برابطة القومية، لعزل الشعوب الإسلامية بعضها عن بعض عزلا نهائيا، بحيث تكون صلت بعضها ببعض كصلتها

---

(١٦٣) الاتجاهات الوطنية ج٢ ص ١٠٧.

(١٦٤) الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا د/ يوسف القرضاوي ص ١٣ ط/ مكتبة وهبة. يقول بعض المعاصرين الدكتور مصطفى الفقي:إن المسيحي (النصراني) المصري أخي وأقرب إلي من المسلم الماليزي، أو الأندونوسي أو غيره من البلاد الأخرى ذكر ذلك وسمعته منه مباشرة على شاشة الفضائيات في إحدى البرامج التي استضيف فيها (على قناة الجزيرة).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بأي شعب من الشعوب الأخرى التي تدين بالوثنية، أو الماركسية أو غيرها، والتي لم تكن تربطها بها أي رابطة.

٤ ــ قطع الصلات بين الشعوب الإسلامية، وإضعاف روابط الثقافة المشتركة، ولغة القرآن الكريم، والقيم الخلقية، والقضاء علي الأخوة الإسلامية.

٥ ــ تشجيع الدول الأوربية الكبرى علي ظهور القوميات العربية في صورتها العلمانية؛ لتحقيق مطامعها في احتلال الشرق الإسلامي(١٦٥).

فقد كان للإنجليز هدف واحد هو إضعاف العصبية الدينية وتمزيق أوصال المسلمين في مستعمراتهم حتى يستطيعوا أن يواجهوهم واحدا واحدا، فالمصريون أحفاد الفراعنة، واللبنانيون أحفاد الفينيقيين، والعراقيون أحفاد الآشوريين، والحجازيون أحفاد العرب، وأحق الناس بالقيام على خلافة الإسلام وذلك إغراء لهم بالإنتفاض على الترك ومساعدة الإنجليز على إسقاط الدولة العثمانية(١٦٦)

٦ ــ القوميات التي عصفت بالعالم الإسلامي في العصر الحاضر، ليست إلا وليدة النظرة الضيقة للحياة والأحياء، وإن حملت في ظاهرها رغبة أصحابها في أن يكون لهم كيان خاص، ومصلحة خاصة إلا أنها تنطوي علي نزعة تعصبية عرقية عطنة، تتجاهل أبسط المسلمات عند الناس وهي أن الناس جميعا لآدم عليه السلام.

٧ ــ القومية المعاصرة وسيلة من وسائل الغزو الفكري للإسلام والمسلمين، وهي تعني عندهم: رفع شعار وطني يتمكن به جمع من الناس من أن يتوحدوا عليه

---

(١٦٥) انظر: في هذه المعاني المتقدمة (أساليب الغزو الفكري ص ٧٧ – ٧٨ مرجع سابق.

(١٦٦) انظر:الاتجاهات الوطنية ج٢ ص١٤٥ وما بعده.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في ظل حكومة مركزية، كما فعل نابليون عندما استحدثا القومية الإيطالية، والقومية الألمانية[١٦٧].

٨ ــ القومية في حد ذاتها فكرة رجعية متخلفة، فقد عرفتها أوربا منذ قرون ولفظتها، لكن أعداء الأمة وجدوا فيها شعارا يثير العصبية.. وهكذا أثيرت القوميات العربية داخل الأمة الإسلامية.

٩ ــ كانت القومية العربية وما زالت شعارا بديلا عن الشعار الإسلامي، الذي تجمعت له جموع كثيرة لرفع الراية الإسلامية، فكانت القومية العربية صرفا للشعوب عن الراية الإسلامية.

موقف الإسلام من الدعوة إلي القومية:

الدعوة إلى القومية العربية وغيرها من القوميات، دعوة باطلة وخطأ عظيم فادح ومنكر ظاهر وكيد سافر للإسلام وأهله .

يقول الأستاذ محمد قطب: (إن الإسلام لا يعرف تلك الدعاوي الزائفة التي روجها أعداء الإسلام بغية القضاء عليه، وتشربها (المسلمون) في غفلتهم، غافلين عما فيها من السموم.

إن الإسلام لا يغير انتماء الناس إلى أرضهم ولا شعوبهم ولا قبائلهم، لأن هذا أمر مادي حسي واقع لا سبيل إلى تغييره، فالذي يولد في الأرض المصرية مصري بحكم مولده، والذي يولد في الأرض العراقية عراقي بحكم مولده، والذي يولد في الأرض الباكستانية باكستاني بحكم مولده.. وهكذا.

---

(١٦٧) انظر الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام د / علي جريشة ص ١٥٦.ومذاهب فكرية معاصرة ٥٦٣ ــ ٥٦٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولكن الإسلام ينكر أن تكون صلة التجمع شيئا غير الإسلام! غير العقيدة الصحيحة في الله! لا الدم ولا الأرض ولا اللغة ولا (المصالح) الأرضية.

{قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} التوبة٢٤

وانظر إلى قصة نوح مع ابنه {وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ} هود٤٢

لقد وعد الله نوحا أن ينجو أهله معه، إلا من سبق عليه القول: {وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ} هود٤٢

{حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ} هود٤٠

فلما رأى ابنه في معزل ناداه ليركب معه سفينة النجاة.. ولكنه عصى وقالكما حكى الله تعالى عنه: {قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ} هود٤٣

.. وكانت عاقبته أن غرق مع الهالكين.

ولما قضى الأمر ونجا من نجا وهلك من هلك راح نوح – في مرارة الفقد التي تشوب فرحة النحاة – يناجي ربه، ويسأل عن تفسير ما حدث: لقد وعده الله بنجاة أهله، وابنه من أهله، ومع ذلك كان من الهالكين!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكان الرد الرباني: {إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} هود٤٦.

ذلك أن الأصرة الحقيقية التي تجعله من أهلك ليست هي رابطة الدم التي تجمع بينه وبينك. إنما هي رابطة العقيدة. وقد رفض الابن أن يكون على العقيدة الصحيحة فانفصم ما بينه وبين أبيه من رباط. لأنه عمل غير صالح)! ذلك هو ميزان الإسلام.

وقد مرت بنا الآية التي تجعل الآباء والأبناء والأخوان والأزواج والعشيرة، والأموال والتجارة والأرض وهي مقومات القومية كلها في كفة، وفي الكفة الأخرى حب الله ورسوله والجهاد في سبيل الله.. والمفاصلة الكاملة بين هذه وتلك.

وليس معنى ذلك أن الإسلام يحرم كل تلك الروابط!

كلا! إنما يجيزها كلها حين تقع تحت رابطة العقيدة وداخلها:

(وألو الأرحام..)

أي حين يكونون كلهم مؤمنين، أما حين تكون تلك الروابط حاجزا يحجز بين المؤمن والمؤمن بسبب رباط الدم أو اللغة أو الأرض أو المصالح.. فهذه التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (دعوها فإنها منتنه)[١٦٨].

فكيف إذا كانت تلك القومية تقول لك في صراحة إن المشرك الذي يشاركك في قوميتك أقرب إليك من المسلم الذي ينتمي إلى قومية أخرى

---

(١٦٩) متفق عليه صحيح البخاري كتاب التفسير باب قوله تعالى : (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم.....) وصحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب نصر الأخ ظالما أو مظلوما.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذه.. ما ميزانها في كتاب الله؟![١٦٩]

وإن كان الغرب قد جر علينا ويلات هذه القومية فإن مبادئ الإسلام ومبادئ الغرب متباينة كليا في باب القومية، فالذي يعتبره الغربيون مصدر الضعف والخذلان عند الأمة الإسلامية، يعد مصدر قوة واعتزاز كما يقول شاعر الإسلام محمد إقبال: (لا تقس أمم الغرب علي أمتك، فإن أمة الرسول الهاشمي صلي الله عليه وسلم فريدة في تركيبها، أولئك إنما يعتقدون باجتماعاتهم علي الوطن والنسل، ولكن إنما يستحكم اجتماعك أيها المسلم بقوة الدين ..)[١٧٠].

إن الإسلام يحارب القومية باعتبارها عصبية جاهلية، أنكرها وحذر منها، وسد منافذها، فلا بقاء للدين العالمي والأمة الواحدة مع هذه العصبية الممقوتة.

إن الإسلام يرفض القومية بكل صورها، وذلك من عدة وجوه:-[١٧١]

الوجه الأول:- إن الدعوة إلى القومية العربية تفرّق بين المسلمين، وتفصل المسلم العجمي عن أخيه العربي، وتفرق بين العرب أنفسهم، لأنهم كلهم ليسوا يرتضونها،

وإنما يرضاها منهم قوم دون قوم، وكل فكرة تقسم المسلمين وتجعلهم أجزاباً فكرة باطلة تخالف مقاصد الإسلام وما يرمي إليه، وذلك لأنه يدعوا إلى الاجتماع والوئام، والتواصي بالحق والتعاون على البر والتقوى كما يدل على ذلك قوله سبحانه: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء**

مذاهب فكرية معاصرة ص ٥٨٧ ــ ٥٨٨.

(١٧٠) انظر الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام الشيخ أحمد بشير ص ٤٦٥.

(١٧١) انظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ج ١ ص- ٣٠٧ بتصرف مرجع سابق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} آل عمران١٠٢ــــ١٠٣ .وقوله سبحانه: هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}الأنفال ٦٢ــ٦٣

وقال تعالى: {مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} الروم٣١

كذلك وكما بينت سابقاً فإن هدف القومية غير هدف الإسلام وإن مقاصدها تخالف مقاصد الإسلام والدليل على ذلك أن الدعوة إلى القومية العربية صدرن إلينا من أعدائنا الغربيين ليكيدوا لنا بها نحن المسلمين ولفصل بعضنا عن بعض وتحطيم كياننا وتفريق شملنا على نحو قاعدتهم المشؤومة: (فرق تسد) وذكر كثير من مؤرخي الدعوة إلى القومية العربية .

ومنهم مؤلف الموسوعة العربية: أن أول من دعا إلى القومية العربية هم الغربيون على أيدي بعثات التبشير في سوريا ليفصلوا الترك عن العرب ويفرقوا بين المسلمين، فهل تظن عزيزي القارئ أن خصومنا وأعداءنا يسعون في مصالحنا بابتداعهم هذه الدعوة وعقد المؤتمرات لها كان أول مؤتمر عقد في باريس عام ١٩١٠ وابتعاث المبشرين لها..؟

قد يثور التساؤل لدى البعض ما ا لمصلحة التي سوف يجنيها الغرب من الدعوة إلى القومية العربية خصوصاً إذا ما علمنا أن الغرب يزعجه أي تجمع ويقلق راحته أي تكتل ضد مصلحته..؟

أقول وكما هو معروف لدى العقلاء أنه إذا كان لابد من أحد الضررين فارتكاب أهونهما أولى حذراً من الضرر الأكبر.. وبما أن خوف الغرب من التكتل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حول الإسلام أكبر وأعظم كما هو معلوم لدى الجميع.. ولذلك رضي بالدعوة إلى القومية العربية وحفز العرب إليها ليتمكن من شغلهم بها عن الإسلام وليقطع بها صلتهم بالله سبحانه وتعالى لأنهم يعلمون علم اليقين أنه ليس للمسلمين من نصر إلا بتمسكهم بإسلامهم الصحيح..وكما قال الله تعالى: لَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) الحج ٤٠ــ٤١

ويقول أبو الحسن الندوي في رسالته المشهورة: (اسمعوها مني صريحة: أيها العرب): (فمن المؤسف المحزن المخجل أن يقوم في هذا الوقت في العالم العربي، رجال يدعون إلى القومية العربية المجردة من العقيدة والرسالة، وإلى قطع الصلة عن أعظم نبي عرفه تاريخ الإيمان، وعن أقوى شخصية ظهرت في العالم، وعن أمتن رابطة روحية تجمع بين الأمم والأفراد والأشتات، إنها جريمة قومية تبز جميع الجرائم القومية، التي سجلها تاريخ هذه الأمة، وإنها حركة هدم وتخريب، تفوق جميع الحركات الهدامة المعروفة في التاريخ، وإنها خطوة حاسمة مشؤومة، في سبيل الدمار القومي والانتحار الاجتماعي)[١٧٢].

الوجه الثاني:

إن الإسلام نهى عن دعوى الجاهلية وحذّر منها ولا ريب أن الدعوة إلى القومية من أمر الجاهلية لأنها دعوة إلى غير الإسلام ومناصرة لغير الحق..وكما قال الشيخ ابن تيميه رحمه الله: كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن من نسب أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريق فهو من عزاء الجاهلية بل لمّا اختصم مهاجري وأنصاري

---

(١٧٢) انظر: مجموع فتاوى ج١ ص ٢٨٨ نقلاً عن (اسمعوها مني صريحة أيها العرب) ص ٢٧ ــ ٢٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فقال المهاجري: يا للمهاجرين وقال الأنصاري يا للأنصار، قال النبي صلى الله عليه وسلم: أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم)[١٧٣]

وغضب لذلك غضباً شديداً. قال الله تعالى: {إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً}الفتح٢٦ وفي سنن أبي داود، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية).[١٧٤].

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي وأبو داود: ((لينتهين قوم يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا، إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخراء بأنفه إن الله قد أذهب عنكم عصبية الجاهلية وفخرها بالآباء إنما هو مؤمن تقي أو فاجر شقي، الناس كلهم بنو آدم، وأدم من تراب).[١٧٥]

وفي صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد)[١٧٦]

ولا ريب أن دعاة القومية يدعون إلى العصبية ويغضبون لعصبية ويقاتلون على عصبية ولا ريب أيضاً أن القومية العربية تدعو إلي البغي والفخر لأن القومية

---

(١٧٣) تفسير الطبري ج ٤ ص ٢٢ وابن كثير ج ١ ص ٣٩٠.

(١٧٤) سنن أبي داود كتاب الآداب باب في التفاخر بالأحساب.

(١٧٥) سنن أبي داود كتاب الآداب باب في التفاخر بالأحساب. ومسند الأمام أحمد حديث رقم ١٠٧٩٢.

(١٧٦) مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العربية ليست ديناً سماوياً يمنع أتباعه من البغي والفخر وإنما هي فكرة جاهلية تحمل أهلها وأتباعها على الفخر بها والتعصب لها على من نالها بشيء. كما كان الحال في الجاهلية حيث كانت سنتهم الفخر بالأنساب والأحساب والأسلاف..، والإسلام غير ذلك تماماً حيث أنه يدعونا إلى التواضع والتقوى والتحاب في الله وعدم التفاضل بين جنس وآخر حيث قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} الحجرات١٣

وروى الترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله قد أذهب عنكم عصبية الجاهلية وفخرها بالآباء، إنما هو مؤمن تقي أو فاجر شقي الناس بنو آدم وآدم خُلق من تراب، ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى))(١٧٧)

ومن ذلك ما ثبت في الحديث الصحيح عن الحارث الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس أن يعمل بهن ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن) فذكرها ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: (وأنا آمركم بخمس، الله أمرني بهن: السمع والطاعة، والجهاد، والهجرة، والجماعة، فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع، ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جُثى جهنم) قيل: يا رسول الله وإن صلى وصام؟ قال: (وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم، فادعوا بدعوى الله سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله))(١٧٨)

ولعمري أن هذا الحديث الصحيح من أوضح الأحاديث وأبينها في إبطال الدعوة إلى القومية العربية واعتبارها دعوة جاهلية يستحق دعاتها إن يكونوا من جُثى

---

(١٧٧) سنن الترمذي كتاب الأمثال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة ٢٨٦٣حديث رقم

(١٧٨) سنن الترمذي المرجع السابق وانظر مسند الربيع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جهنم وإن صاموا وصلوا وزعموا أنهم مسلمون. فياله من وعيد شديد وتهديد أكيد وتحذير ينذر كل مسلم من دعوات الجاهلية، والركون إلى معتنقيها وإن زخرفوها بالمقالات .

السحرية والخطب الرنانة والخيالات الواسعة التي لا أساس لها من الحقيقة ولا شاهد لها من الواقع، وإنما هو التلبيس والخداع والتقليد الأعمى الذي ينتهي بأهله إلى أبوأ العواقب

الوجه الثالث:-

من الوجوه الدالة على بطلان الدعوة إلى القومية العربية: هو أنها سلم إلى موالاة كفار العرب وملاحدتهم من أبناء غير المسلمين واتخاذهم بطانة والاستنصار بهم... ومعلوم من هذا الفساد الكبير والمخالفة لنصوص القرآن الكريم والسنة الدالة على وجوب بغض الكافرين من العرب وغيرهم ومعاداتهم وتحريم موالاتهم واتخاذهم بطانة..استنادا إلى قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ} المائدة٥١ــ ٥٢}.

سبحان الله ما أصدق قوله وأوضح بيانه، هؤلاء القوميون يدعون إلى التكتل حول القومية العربية مسلمها وكافرها، يقولون: نخشى إن تصيبنا دائرة، نخشى إن يعود الاستعمار وأن يطمع الغرب فينا.. نخشى إن تسلب ثرواتنا بأيدي أعدائنا، فيوالون لأجل ذلك كل عربي من يهود ونصارى ومجوس ووثنيين وملاحدة وغيرهم تحت لواء القومية العربية،ويقولون: إن نظامها لا يفرق بين عربي وعربي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإن تفرقت أو اختلفت أديانهم، فهل هذا إلا مصادمة لكتاب الله و مخالفة لشرع الله وتعد لحدود الله وموالاة ومعاداة وحب وبغض على غير دين الله؟..، فما أعظم ذلك من باطل وما سواه من منهج..القرآن يدعو إلى موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين أينما كانوا وكيفما كانوا، وشرع القومية العربية يأبى ذلك ويرفضه ويخالفه قال تعالى: (قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ).

ويقول الله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ} الممتحنة١

ونظام القومية يقول: كلهم أولياء مسلمهم وكافرهم.. والله تعالى يقول: {لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} المجادلة٢٢، وشرع القومية وشرع دعاتها يقول: أقصوا الدين عن القومية،وافصلوا الدين عن الدولة، وتكتلوا حول أنفسكم وقوميتكم حتى تدركوا مصالحكم وتستردوا أمجادكم، وكأن الإسلام وقف في طريقهم وحال بينهم وبين أمجادهم..؟ هذا والله هو الجهل والتلبيس وعكس القضية وإنه لبهتان عظيم..وكيف يجوز في عقل عاقل أن يكون أبو جهل وأبو لهب وعقبة ابن أبي معيط والنضر بن الحارث وأضرابهم من صناديد الكفار في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وبعده إلى يومنا هذا إخوانا وأولياء لأبي بكر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة ومن سلك نهجهم وسبيلهم من العرب إلى يومنا هذا..؟

هذا والله أبطل الباطل وأعظم الجهل.. وشرع القومية ونظامها يوجب هذا ويقتضيه وإن أنكره البعض من دعاتها جهلاً أو تجاهلاً وتلبيسا.. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الوجه الرابع:

من الوجوه الدالة على بطلان الدعوة إلى القومية العربية أن يقال: إن الدعوة إلى القومية العربية والتكتل حول رايتها يفضي بالمجتمع ولابد إلى رفض حكم القرآن، لأن القوميين غير المسلمين لن يرضوا تحكيم القرآن فيوجب ذلك لزعماء القومية أن يتخذوا أحكاماً وضعية تخالف حكم القرآن حتى يستوي مجتمع القومية في تلك الأحكام.. وقد صرح بذلك كثير منهم..، وهذا هو الفساد العظيم والكفر المستبين والردة السافرة، كما قال تعالى: **(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً)** النساء٦٥، وقال الله تعالى: **(أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون)** المائدة٥٠ وقال تعالى: **(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)** المائدة٤٤.

فالواجب على زعماء القومية العربية ودعاتها أن يحاسبوا أنفسهم وينتهوا وليهولن يفكروا في نتائج دعوتهم المشؤومة وغايتها الوخيمة، وأن يكرسوا جهودهم ويسخروا طاقاتهم للدعوة إلى الإسلام ونشر محاسنه والتمسك بتعاليمه والدعوة إلى تحكيمه بدلاً من الدعوة إلى القومية أو الوطنية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبين العلامة الكبير والداعية الإسلامي الشيخ محمد الغزالي رحمه الله خطورة القومية ومدى كونها إلحادا تحت عنوان (لا إلحاد بيننا) حيث يقول مستفهما: (ما هؤلاء الناس؟ إنهم ليسوا عربا ولا عجما ولا روس ولا أمريكان!!

إنهم مسخ غريب الأطوار صفيق الصياح، بليت به هذه البلاد إثر ما وضعه الاستعمار بها وترك بذوره في مشاعرها وأفكارها، فهم – كما جاء في الحديث – من بني جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا. بيد أنهم عدو لتاريخنا وحضارتنا وعبء على كفاحنا ونهضتنا، وعون للحاقدين على ديننا والضانين بحق الحياة له ولمن اعتنقه.

إن هؤلاء الناس الذين برزوا فجأة، وملأت ضجتهم الأودية كما تملأ الضفادع بنقيقها أكناف الليل، يجب أن يمزق النقاب عن سريرتهم، وأن تعرفهم هذه الأمة على حقيقتهم، حتى لا يروج لهم خداع، ولا ينطلي لهم زور، إن صفوف الذين يلبسون مسوح العروبة، ويندسون خلال صفوف المجاهدين، ويزعمون أنهم مبشرون بالقومية العربية ورافعون لألويتها، وفي الوقت نفسه ينسحبون من تقاليد العروبة، ويهاجمون أجل ما عرفت به، ويبعثرون العوائق في طريق الإيمان ورسالته.

إن هؤلاء الناس ينبغي أن يماط اللثام عن وجوههم الكالحة، وأن تلقى الأضواء على وظيفتهم التي يسرها الاستعمار لهم، ووقف بعيدا يرقب نتائجها المرة، وما نتائجها إلا الدمار المنشود لرسالة القرآن، وصاحبها العظيم محمد بن عبد الله ﷺ:، لقد قرأنا ما يكتبون، وسمعنا ما يقولون، ولم يعوزنا الذكاء لاستبانة غاياتهم، فهم ملحدون مجاهرون بالكفر. يقولون في صراحة: إن الإسلام ليس إلا نهضة عربية، فاز بها هذا الجنس العظيم في القرون الوسطى، واستطاع في فورته العارمة أن يجتاح العالم بقيادة رجل عبقري، هو الزعيم الكبير: محمد ﷺ:أي أن هذا الدين الجليل، نبت من الأرض، ولم ينزل من السماء، وأنه انطلاقة شعب طامح فاتح،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وليس هداية مثالية فدائية، جاءت من عند الله لتنقذ العرب من جاهلية طامسة، كانوا بها في مؤخرة البشر، إلى حنيفية سمحة رفعت خسيستهم، ثم انتشر شعاعها بعد في أنحاء الأرض، كما تنتشر الأضواء في عرض الأفق لدى الشروق.

والفضل في ذلك كله لله وحده، الذي اصطفى محمدا، وامتن عليه بالهدى والحق، بعد أن قال له: {مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} الشورى٥٢ وقال تعالى:{وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً} النساء١١٣ كما يقول في العرب الذين أرسل فيهم: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} آل عمران١٦٤ فأي زحف عربي هنالك؟ وأي عبقرية أنشأت من عندها هذا الغيث الممرع لأهل الأرض؟ إن الزعم بأن الإسلام (ثورة عربية) أكذوبة كبرى وأضلولة شائنة، وإن هذا القول ليس تكذيبا للإسلام فقط، بل دعوة خطيرة إلى تكذيب الديانات كلها، وإلى إشاعة الكفر والفسوق والعصيان في أنحاء الأرض. والغريب أن هؤلاء الناس يخاصمون الإسلام بعنف، ويحاربون أمته بجبروت، ويهادنون الأديان (الرسالات) الأخرى من سماوية وأرضية، كأن الإسلام هو العدو الذي كلفوا باستئصاله وحده، لا بل هو العقبة الفذة التي وضعت المعاول في أيديهم لإهالتها ترابا، أجل، وهل للاستعمار عدو في هذه البلاد إلا الإسلام؟ إنه مصدر المقاومة العنيدة، وروح الكفاح الباسل الذي أعي المهاجمين وأحبط مؤامراتهم، ومن ثم فعلى الاستعمار أن ينسج خيوطه حوله ليقتله، ويحول بينه وبين الحياة الكريمة، ولقد ابتدع القوميات الضيقة واستجباها بشتى الأساليب، لينال من كيان هذا الدين، فلما سقط أمام الإسلام في المعركة، دس أتباعه تحت لواء القومية العربية، وزودهم بضروب من الادعاء، ليزحموا العرب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المخلصين في هذا الميدان، ولينالوا من الإسلام بطريقة أخرى، وتفسير القومية العربية هذا التفسير الكفور الكنود، هو حرب آخر ضد الإسلام، وإنه لجدير أن يتسمى هؤلاء بأتباع القومية العبرية لا العربية، أليسوا يعملون لمصلحة الاستعمار وإسرائيل، ولقد مرت أربعة عشر قرنا على اشتباك العروبة بالإسلام، أو بتعبيرنا نحن أهل الإيمان: على تشريف الله العرب بحمل هذه الأمانة وإبلاغها للناس.

ونظرة إلى البعيد تعرفنا بسهولة أن العرب مرت عليهم أدهار قبل الإسلام، لم يكونا فيها شيئا مذكورا، ثم جاء هذا الدين فدخلوا التاريخ به، وطار صيتهم تحت رايته، وصدق الله إذ يقول: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ}الزخرف٤٤ ثم أخطأ العرب، فظنوا أن هذا الدين العالمي الذي نزلت فيهم آياته، يمنحهم امتيازا خاصا، ويجعلهم عنصرا أرقى من سائر الأجناس، ونشأ عن هذا الخطأ رد الفعل الذي لابد منه، فقامت الشعوب الأخرى تدافع عن قيمة دمائها وكرامة عنصرها، وهذه الأغلاط المتبادلة علتها حنين البشر إلى الجاهلية، واستثقالهم مؤنة السعي لتحصيل الكمال الإنساني، فإذا عز على شخص تافه أن يكون تقيا ينسبه عمله إلى المجد والعلا، ذهب ينتحل نسبا آخر إلى أسرة أو وطن أو جنس، ليرتفع به دون جهد، وتلك كلها عصبيات باطلة ونعات نازلة، ولا محل لها في دين، ولا وزن لها عند رب العالمين. ولكن المهم أن العرب الأولين لما أرادوا المفاخرة والتميز كان الإسلام متكأهم ومعقد فخرهم، فيأي شيء يملأون أفواههم إذا لم يذكروا الإسلام؟ إن وطابهم خال وتاريخهم صفر، حتى جاء الأفاكون في هذا الزمان بالبدعة التي لم يسمع بها إنسان، فإذا العروبة في نظرهم يجب أن تتجرد من الإيمان، وزعموا ــ قبحهم الله ــ أنها بالانسلاخ عن الدين تسموا وتسير، بل إن أحد الكتاب من هذه العصابة وجد الوجه الذي يطالع به الناس ليقول: إن الإسلام جنى على العروبة، وإن اللغة العربية قد انتشرت أبعد مما انتشر الإسلام، وإن الإسلام ــ لأنه عالمي ــ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ضار بالقومية العربية، وظاهر أن هذا الكلام بقطع النظر عن بطلانه، إنما يروج لصالح الاستعمار الغربي منه والشرقي على السواء، وان قائله يخدم أهداف الغزاة الذين عسكرت جيوشهم في بعض أقطار العروبة وأنزلت بها الهون، ووقفت على حدود البعض الآخر تتربص به الدوائر.

وكاتب آخر من هذه العصابة يطلب من بإلحاح: أن ننسى التاريخ؛ لأنه لا يضم إلا رفات الموتى، وأن نتطلع إلى المستقبل فحسب. ونسي هذا الغر أن اليهود في كبد الشرق الأوسط، أقاموا دولتهم بإمداد من التاريخ الموحى، وأنهم جعلوا اسم إسرائيل علما عليها، إنه حلال للناس جميعا أن يستصحبوا تاريخهم في كفاحهم، أما نحن المسلمين فحرام علينا أن نذكر فصلا من هذا التاريخ، وأن نستوحي منه عونا في جهاد وأملا في امتداد، إنها قومية عبرية لا عربية، تلك التي يبشر الملحدون وكارهوا الإسلام، ولقد عرف الأولون والآخرون أننا نحن المسلمين أحنى الناس على العروبة وأوصلهم لمجدها، وأخلصهم لقضاياها، وأن هؤلاء القوميين لا خير فيهم، بل إنهم مصدر شر طويل وأذى ثقيل.(١٧٩)

---

(١٧٩) مع الله دراسات في الدعوة والدعاة الشيخ محمد الغزالي ٢٥٤ وما بعدها ط/ دار الكتب الإسلامية الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الطريقة الرابعة

الماسونية

حقيقتها:

الماسونية.. اشتقاق لغوي من الكلمة الفرنسية (Macon) ومعناها (البناء) والماسونية تقابلها (Maconneries).. أى البناؤون الأحرار.. وفى الإنجليزية يقال: فري ماسون (Free-mason) (البناؤون الأحرار). وبذلك يتضح أن هذه المنظمة يربطها أصحابها ومؤسسوها بمهنة البناء. وبالفعل يزعم مؤرخوها ودعاتها أنها في الأصل تضم الجماعات المشتغلة في مهن البناء والعمار. وبهذا التبرير السخيف يحاولون إظهارها وكأنها أشبه بنقابة للعاملين في مهن البناء!..؟![١٨٠].

أما في الاصطلاح فهي: منظمة يهودية سرية هدامة، إرهابية غامضة، محكمة التنظيم تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم وتدعو إلى الإلحاد والإباحية والفساد، وتتستر تحت شعارات خداعه (حرية - إخاء - مساواة - إنسانية)[١٨١] .

فهل هذه حقيقتها فعلا؟

لو كانت الماسونية نقابة محترفي أعمال بناء فما الداعي لسريتها وإخفاء أوراقها، لماذا تختفي في الظلام لتعمل فيه وترهب النور وتخشاه؟

إن أصحاب المبادئ الحرة يعلنون عن مبادئهم، ويتحملون الصعاب من أجلها، ما دامت حقا يأملون به صلاح الإنسانية وتحقيق سعادتها.

---

(١٨٠) (موقع أبو إسلام أحمد عبد الله .http.www.webadh.com

(١٨١) انظر: الموسوعة ج١ ص ٥١٣. مرجع سابق. وانظر: العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية د / سعد الدين صالح ص ٢٣٤ط/ دار الصفا القاهرة الطبعة الثانية ١٩٩٠م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حقيقة الماسونية:

إن حقيقة الماسونية كما يقول أحد المؤرخين المحدثين: (الماسونية آلة صيد بيد اليهود يصرعون بها كبار الساسة، ويخدعون الأمم الغافلة والشعوب الجاهلة)[١٨٢].

ويقول أحد المنشقين عليها – وكان برتبة أستاذ – السيد الحاج في كتابه (هيكل سليمان): (إن مبدأ هذه الفرقة – الماسونية – وتعاليمها ودرجاتها وغاياتها ترمي إلى تقديس كل ما ورد في التوراة، واحترام الدين اليهودي، والعمل على تجديد المملكة اليهودية في فلسطين، وإعادة هيكل سليمان)[١٨٣].

إن الماسونية حركة خطيرة ما إن يطرح اسمها حتى يثور القلق في نفس المستمع. وما أن تذكر حتى ترى الجلساء يبدءون بتعداد مؤامراتها ومكائدها. ويظهرون الحيرة في أمر هذه الحركة.. التي اعتمدت السرية في إخفاء حقيقتها وأهدافها. ولعل ذلك لأن اليهود الذين حاربوا الأنبياء والرسل. وظنوا أنهم شعب الله المختار وأن ما سواهم (غوييم). أي أغبياء ضالين يوجهونهم كيف يشاؤون ويصل بهم المستوى للقول: (الغوييم هم حيوانات بصورة بشر) أرادوا أن تكون الماسونية من جملة الأقنعة التي تستتر مخططاتهم وراءها.

يقول حكماء صهيون في البرتوكول الخامس عشر من بروتوكولاتهم: (أننا كنا الشعب الوحيد الذي يوجه المشروعات ونحن الشعب الوحيد الذي يعرف كيف يوجهها، ونحن نعرف الهدف الأخير لكل عمل على حين أن الأممين (غير اليهود)

---

(١٨٢) المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها د / عبد الرحمن عميرة ص ٢٥ ط / دار اللواء السعودية.

(١٨٣) انظر: الماسونية العالمية وموقفها من الإنسان والأديان د / عابد منصور مطبعة الأمانة ط / ١٩٨٨م

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جاهلون بمعظم الأشياء الخاصة بالماسونية، ولا يستطيعون ولو رؤية النتائج العاجلة لما هم غافلون. وهم بعامة لا يفكرون إلا في المنافع الوقتية العاجلة، ويكتفون بتحقيق أغراضهم، حين يرضي غرورهم، ولا يفطنون إلى أن الفكرة الأصلية لم تكن فكرتهم بل كنا نحن أنفسنا الذين أوحينا إليهم بها!)[١٨٤]

هذا قليل من كثير جاء عند حكماء صهيون عن الماسونية بأنها من الأدوات الهامة التي يسعون عبرها لتحقيق أهدافهم سواء في بناء مملكتهم المزعومة في فلسطين، و إعادة بناء هيكل سليمان. أو في تحقيق نفوذ لهم في أية حكومة أو مؤسسة يستطيعون النفاذ إليها. أو في نشر الفساد في الأرض، لأن إشاعة التعلق بالمادة والشهوات والأهواء يكشف الثغرات ونقاط الضعف في كل شخص والنافذين بشكل خاص كي يتوجهوا إليه بإشباع هذه الأهواء فيصبح رهينة بين أيديهم يستثمرونه كما يريدون..!

والماسونية تعتمد المنهج اليهودي في الحط من شأن الخالق سبحانه وتعالى. فكما أن اليهود في توراتهم المحرفة يقولون بالاتحاد بين الله والإنسان. فيعطون على أساس ذلك لله تعالى أوصافا بشرية كقولهم مثلاً:

بكى حتى تورمت عيناه.. ندم على خراب الهيكل..! سمع آدم وقع أقدام الرب في الجنة..!

كذلك الماسون يستخدمون للخالق سبحانه وتعالى تعبيرا غامضا هو: مهندس الكون الأعظم! و في هذا التعبير إنكار واضح لخلق الله تعالى المخلوقات من العدم. فالمهندس ليس سوى بان من مواد متوفرة. وقولهم الأعظم يفيد وكأن العمل تم من قبل مجموعة كان هو أعظمها!

---

(١٨٤) الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون ص ٢٣٦ / ٢٣٧. مرجع سابق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فماسونيتهم كما يدعون فوق الأديان وهى عقيدة العقائد لا تعترف بوطنية ولا قومية فهي أممية تعمل على توحيد البشرية وادعاء نشر السلام العالمي واللغة العالمية إلى ما هنالك من شعارات براقة وجد فيها الضعفاء سبيلا للهروب ومبررا لتقصيرهم في جهادهم من إعلاء راية الإيمان وحفظ الأمم والأوطان والمقدسات.

و ليست الماسونية حركة منظمة لا يمكن محاربتها وإنما حركة مشتتة متعددة النظم محافلها أكثر من أن تعد. وهي متصارعة. وكل محفل فيها يتهم غيره بالخروج عن الماسونية والانحراف عن مبادئها. ففي لبنان وحده وهو بلد صغير هناك عشرات المحافل ولكل واحد منها نظامه ورؤساؤه و مفاهيمه!

و الماسونية حركة تشكل أداة بيد الصهيونية والاستعمار ولكنها ليست الوحيدة. فمن تفرعاتها أندية الروتاري والليونز التي يتباهى بعض من ينسبون أنفسهم لمراكز دينية أو ثقافية زورا بالانتماء لها أو حضور احتفالاتها. ومن مثيلاتها حركات هدامة وأبرزها البهائية والقاديانية!![١٨٥]

إن جل أعضاء الماسونية من الشخصيات المرموقة في العالم، من يوثقهم عهداً بحفظ الأسرار، ويقيمون ما يسمى بالمحافل للتجمع والتخطيط والتكليف بالمهام تمهيداً بحفظ جمهورية ديمقراطية عالمية - كما يدعون - وتتخذ الوصولية والنفعية أساساً لتحقيق أغراضها في تكوين حكومة لا دينية عالمية.

نشأة الماسونية وجذورها:

اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ نشأتها والأرجح أنها نشأت في الثلث الثاني من القرن الأول الميلادي، وبالتحديد في العام ٤٣م وفي إطار حملتهم للقضاء على الديانة النصرانية، أنشأ اليهود جمعية سرية أطلقوا عليها اسم "القوة الخفية"

---

(١٨٥) انظر: موقع أبو إسلام بتصرف.مرجع سابق.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

واستعانوا بشخصية يهودية تعرف باسم "احيرام أبيود"، أحد مستشاري الملك هيرودس الثاني عدو النصرانية الأكبر، لتحقيق هذه الغاية.

وعن هذه النقطة يقول حيرام: « لما رأيت أن رجال الدجال يسوع وأتباعهم يكثرون ويجتهدون بتضليل الشعب اليهودي بتعاليمهم، مثلت أمام مولاي هيرودوس وقلت له: مولاي الملك: لقد تأكد لجلالتكم وللملأ أن ذلك الدجال يسوع استمال بأعماله وتعاليمه المضلة قلوب كثير من الشعب اليهودي شعبكم، وعلى ما يظهر أن أتباعه ينمون ويزدادون يوماً بعد يوم. فلما رأيت أن لا أمل بقوة تدفع تلك القوة التي لا شك أنها خفية إلا بإنشاء قوة خفية مثلها، فلذلك أرى من الصواب إذا حسن في عين جلالة مولاي وارتأى رأي عبده: إنشاء جمعية ذات قوة أعظم منها، تضم القوة اليهودية المهددة من تلك القوة الخفية، ولا يكون عالماً بمنشأيها ووجودها ومبادئها وأعمالها إلا من كان داخلاً فيها، ولن ندع أحداً يعرف أننا أسسناها إلا المؤسسين الذين تختارهم جلالتكم...».

وجد الملك هيرودوس في فكرة أبيود، فرصة في محاربة أتباع الدعوة اليسوعية، فتلقفها على الفور وبادر إلى استدعاء أبرز مستشاريه بهدف تفعيلها على الفور في إطار تنظيمي فاعل، ولقد ضم الاجتماع الأول بالإضافة إلى الملك، وأبيود؛ كلاً من: مؤآب لاقي، هانا أنتيبا، جاكوب أبدون، سلومون، أبيرون، أدونيرام.

والثابت تاريخياً أن السلف والخلف من آل هيرودوس لم يدخروا جهداً في التنكيل برموز الدعوة النصرانية من مثل: قتل القديس يعقوب وسجن الداعي بطرس وقطع رأس يوحنا المعمدان بالإضافة إلى ذبح أطفال بيت لحم.(١٨٦)

---

(١٨٦) انظر: المرجع السابق. ومكايد يهودية عبر التاريخ / عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٢٢٢ ــ ٢٢٦ بتصرف

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد أسندت رئاسة جمعية "القوة الخفية" إلى الملك المذكور، وهكذا تم عقد أول اجتماع سري عام ٤٣م حضره الملك المذكور ومستشاراه اليهوديان "احيرام أبيود" و"موآب لامي" وستة من الأنصار المختارين، وكان الغرض الرئيس من إنشاء هذه الجمعية القضاء على النصرانية.

وقد عقدوا الاجتماع الثاني واتخذوا بعض القرارات السرية وتعاهدوا على كتمانها وأفسحوا لمن يثقون بهم المجال للانضمام إلى هذه الجمعية على أن تُعصب عيني كل من يود الانتساب للجمعية، واتفقوا على اتخاذ بعض الأدوات الهندسية كالبيكار والميزان رمزاً لمنظمتهم السرية.

وتلا هذا الاجتماع سلسلة لقاءات دورية سرية، تمخض عنها وضع الخطوط العامة والتفصيلية للهيكلية التنظيمية، وتخلل هذا الأمر تدريجياً تسييج نشاطهم الداخلي والخارجي بسياج محكم من الطقوس والرموز السرية، وأعقب ذلك انتشار لأعضاء الحركة الجديدة وعمل دعوي على خطين متوازيين:

الأول: وتمثل في بناء هياكل (محافل حسب التسمية الحديثة) واجتذاب أعضاء جدد إليها من عامة الناس، تحت شعارات وعناوين مغايرة تماماً لحقيقة الأمر.

والثاني: نشاط سري تركز على تعقب المبشرين النصرانيين، إما بالتكذيب أو التحريف وأحياناً بالنفي والقتل.

وبعد هلاك الملك هيرودس انتقلت رئاسة هذه الجمعية السرية إلى "احيرام" مستشاره ثم أعقبه ابن أخيه "طوبان لقيان".

ويكتب التاريخ أن حيرام أبيود وجد مقتولاً تحت شجرة في مدينة صيدون (صيدا) خلال قيامه في مهمة تبشيرية. وتقديراً لفضله في تأسيس القوة الخفية والعمل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

على تعزيز مكانتها، بالغ تلامذته في تكريمه بأن أطلقوا على أنفسهم لفترة زمنية غير طويلة «أبناء الأرملة» وذلك لأن حيرام كان يتيم الأم، وغالباً ما عُرف بين أصحابه بـ «ابن الأرملة».

بقيت حركة حيرام أبيود تعرف باسم القوة الخفية، حتى بداية القرن الثامن عشر، وتُعد هذه المرحلة التاريخية الفاصلة بين انطلاقة الحركة ومطلع القرن المذكور، من أكثر المراحل غموضاً في تاريخها، ولم نعثر للأسف في مطاوي ما كُتب عن تاريخ الماسونية، على ما يمكن أن يُستدل من خلاله على ما آلت إليه أمور الحركة طيلة هذه الفترة، غير أننا نفترض على ضوء ما حصل لاحقاً، ولأسباب نجهلها، أن الحركة أو القوة الخفية قد شُلت حركتها من الناحية العملية، فيما تحولت تعاليمها وإنجازاتها إلى إرث أسطوري توارثته نخبة من اليهود، تعود في جذورها إلى سلالة المؤسسين الأوائل.

وهذا ليس بالأمر المستغرب، إذا عرفنا طبيعة الحركات الباطنية التي تميل إلى الجمود والانطواء والتكتم على كل ما يتصل بتاريخ رموزها.

وتجاوزاً لتلك المرحلة الغامضة بكل ما حملت من تطورات وأحداث، نتوقف عند بداية القرن الثامن عشر، حيث شهدت محاولة تجديد الإرث الخفي، وانطلاقة الحركة الماسونية وشيوعها.

ففي ٢٥ أغسطس من العام ١٧١٦، اجتمع كلٌ من «جوزف لافي» أحد ورثة تاريخ أجداده، من الجد الأكبر «موآب لافي» وابنه إبراهيم، ويهودي آخر يدعى «إبراهيم أبيود» من سلالة المؤسس الأول «حيرام أبيود»، بالإضافة إلى عضوين آخرين، اجتمع الخمسة في لندن بعد اطلاعهم على النسخة الأصلية لتعاليم القوة الخفية ورموزها وإشاراتها السرية، ووضعوا لها بعض المبادئ البراقة "حرية، مساواة، إخاء، تعاون" واستبدلوا الرموز القديمة باصطلاحات جديدة كما قرروا تبديل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اسم "هيكل" الذي كانوا يستعملونه قديماً باسم "محفل" وتبديل اسم القوة الخفية باسم "البنائين الأحرار" (ماسون تعني بناء). ولأول مرة في التاريخ ظهر لعالم الوجود ما يسمونه بالبنائين الأحرار، وأخذت تنتشر الجمعيات التي تحمل هذا الاسم، وزعم أقطاب اليهود الذين يقفون وراء هذه الجمعيات أن أهدافها نشر المبادئ الإصلاحية والاجتماعية وبناء مجتمع إنساني جديد. وقد استطاعوا أن يتخذوا من أحد أنصارهم "ديزا كولييه" مطية لتحقيق أغراضهم وأطلقوا عليه وعلى من يسيرون على غراره من غير اليهود اسم "العميان" كما أطلقوا على اسم محفل لندن الماسوني المركزي اسم "محفل إنجلترا الأعظم" على أن يكون في مقدمة مهامه دعم اليهود ومحاربة الأديان وبث روح الإلحاد والإباحية.

وكانت أوروبا في تلك الفترة تعيش أخصب المراحل في ورش الإعمار والبناء، وكان البناؤون ناشطين ومؤثرين في مجريات الحياة من خلال العمل النقابي، فاستغل اليهود هذا المناخ للتمويه على انطلاقتهم السرية، وأطلقوا على حركتهم اسم البناؤون الأحرار (الماسونية)، وعلى هيكلهم اسم (المحفل) بقصد التعتيم والتضليل، وكانوا يرمزون بذلك إلى هدفهم الأكبر: استعادة مجد إسرائيل، واسترداد هيكل سليمان في بيت المقدس.

وبعد حوالي عشرة أشهر، وتحديداً في ٢٤ حزيران ١٧١٧ عُقد أول لقاء بين الأعضاء الخمسة على أساس المعطيات الجديدة، وكان مكانه في لندن أيضاً، واعتبر هذا اليوم التاريخي بمثابة العيد السنوي للماسونية، أو يطلق على هذا اليوم حالياً وللتمويه (عيد مار يوحنا)، وأعلن حينها عن تأسيس أول محفل عالمي ماسوني سمي بمحفل انكلترا العظيم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومما ساعد لاحقاً على انتشار الحركة الماسونية كما سيتبين معنا، الظروف المفصلية التي كانت تعيشها أوروبا والتحولات الكبرى التي عصفت بها على كل المستويات.

فبعد ظهور عصر النهضة وما تولد عنه من أفكار تدعو إلى تقديس العقل، والإيمان بالقانون الطبيعي، ونبذ كل ما يتعلق بفكرة الغيب والدين، وفي ظل انكماش سلطة الكنيسة وتراجعها أمام زحف الأفكار العلمانية في صورتها الجنينية، ازدهرت الحركة الماسونية بأفكارها الطوباوية الجوفاء (الحرية والمساواة والاخاء)، مستغلة بذلك حاجة الأوروبي الغريق، إلى خشبة الخلاص الروحي والمعنوي.

وقد استطاع الماسونيون بما كانوا يملكون من قوة التأثير المادي والإعلامي، استقطاب أبرز الرموز الأوروبية في تلك الفترة، بالإضافة إلى تركيزهم على الطبقة المتوسطة في المجتمع الأوروبي، والتي عادة ما تكون فاعلة وطامحة للتغيير، ومن هنا نجد سرعة انتشار المحافل الماسونية في أرجاء أوروبا، حيث أنه لم يمض أكثر من ثمان سنوات على تأسيس المحفل الأول في بريطانيا، حتى تلاه الثاني في فرنسا عام ١٧٢٥، والثالث والرابع في كل من إيطاليا وألمانيا عام ١٧٣٣.

وعلى مستوى الرموز الأوروبية السياسية، فقد انضم إلى الماسونية كلٌ من؛ ملكي بروسيا فريدريك الثاني والثالث، وملوك شبه جزيرة اسكندنافيا، وملك النمسا جوزف الثاني، ونابليون وأفراد أسرته، بالإضافة إلى أعضاء الأسرة المالكة الإنجليزية.

ويُقال أن أكثر من نصف أعضاء الجمعية العمومية في فرنسا عشية الثورة الفرنسية، كانوا أعضاء في الماسونية، ومن جهة ثانية استطاعت الماسونية، من خلال قدرة اليهود التعبوية، التأثير في أعضاء الطبقة الفكرية والعلمية من أمثال

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فولتير ومونتسكيو وجوته وفختة وهربر وموتسارت بالإضافة إلى الأنسيكلوبيديين (الموسوعيين).

وهذا باختصار؛ هو عرض لما حققته الماسونية خلال قرن من انطلاقتها الرسمية، ولا حاجة للتذكير بمغزى هذا الأمر لجهة قوة هذه الحركة ونفوذها الواسع، الذي استمر تصاعدياً حتى وقتنا الراهن، وأيضاً لجهة تماسك وتشابك تنظيمها السري الداخلي.

وللحركة الماسونية تاريخ أسود، وتردد اسمها عند نشأة كثير من الحركات السرية والعلنية وفي مؤامرات عديدة، وعُرفت بطابع السرية والتكتم وبالطقوس الغريبة التي أخذت الكثير من رموزها من التراث اليهودي وكُتبت حولها الآلاف من الكتب في الغرب وفي الشرق. ومن أهم الحركات والثورات التي كانت الماسونية وراءها الثورة الفرنسية، وحركة الاتحاد والترقي التي قامت بحركة انقلابية ضد السلطان عبد الحميد الثاني ووصلت إلى الحكم ثم ما لبثت أن ورطت الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى مما أدى إلى تمزقها وسقوطها.

وقد ظل طابع السرية يلف هذه الحركة في اجتماعاتها ومنتدياتها وتحركاتها حتى طرأ تطور جديد، إذ تجرأت بفتح أبوابها وإعلان نشاطها متحدية كل المشاعر المتأججة ضدها[١٨٧].

---

(١٨٧) انظر: المرجع السابق ، والموسوعة الميسرة ج١ ص ٥١٣ وما بعدها ، ومكايد يهودية عبر التاريخ / عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٢٢٢ ــ ٢٢٦ بتصرف الطبعة الثالثة ط / دار القلم دمشق بيروت. والمذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها ص ٢٥ وما بعدها، والعقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية د / سعد الدين صالح ص ٢٣٥وما بعدها. وأيضا ما جاء في حلقة في قناة الجزيرة تحت عنوان سري للغاية تقديم يسري فودة بتاريخ ٢/ ٩/ ١٩٩٩م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التطور التاريخي للماسونية في الشرق الأوسط:

كانت تركيا.. المحطة الأولى في المنطقة لإعلان هذا النشاط، ثم جاء الأردن ثانية، ولا ندري أين ستكون المحطة الثالثة؟ الماسونية كما هو ثابت نتاج الفكر اليهودي، وتركيا ترتبط مع الكيان الصهيوني بحلف استراتيجي، فهل هناك علاقة تجمع بين أطراف هذا الثالوث؟ وما قصة الماسونية في تركيا؟.. وماذا فعلت فيها؟ ولنبدأ من البداية:

اسطنبول:

تأسس أول محفل ماسوني في الدولة العثمانية عام ١٨٦١م تحت اسم "الشورى العثمانية العالية" ولكنه لم يستمر طويلاً، فالظاهر أنه قوبل برد فعل غاضب مما أدى إلى إغلاقه بعد فترة قصيرة من تأسيسه. ومن المعروف أن أول سلطان عثماني ماسوني كان السلطان مراد الخامس الشقيق الأكبر للسلطان عبد الحميد الثاني والذي لم يدم حكمه سوى ثلاثة اشهر تقريباً عندما أقصي عن العرش لإصابته بالجنون. وقد انتسب إلى الماسونية عندما كان ولياً للعهد وارتبط بالمحفل الإسكتلندي، كما كان صديقاً حميماً لولي العهد الإنجليزي الأمير إدوارد "ملك إنجلترا فيما بعد" الذي كان ماسونياً مثله، حتى ظنّ بعض المؤرخين أن ولي عهد إنجلترا هو الذي أدخله في الماسونية، ولكن هذا غير صحيح لأنه كان ماسونياً قبل تعرفه إلى الأمير "إدوارد".

وكان من النتائج الخطيرة لتواجد المحافل الماسونية الأجنبية داخل حدود الدولة العثمانية احتضان هذه المحافل حركة "الاتحاد والترقي" وهي في مرحلة المعارضة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وأصبحت المحافل الماسونية محل عقد اجتماعات أعضاء جمعية الاتحاد والترقي بعيداً عن أعين شرطة الدولة وعيونها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لكونها تحت رعاية الدول الأجنبية ولا يمكن تفتيشها. ويعترف أحد المحافل الماسونية التركية الحالية وهو محفل "الماسونيون الأحرار والمقبولون" في صفحة "الإنترنت" التي فتحوها تحت رموز: بأنه: "من المعلوم وجود علاقات حميمة بين أعضاء جمعية الاتحاد والترقي وبين أعضاء المحافل الماسونية في تراقيا الغربية، بدليل أن الذين أجبروا السلطان عبد الحميد الثاني على قبول إعلان المشروطية كان معظمهم من الماسونيين".

يقول المؤرخ الأمريكي الدكتور "أرنست أ. رامزور" في كتابه "تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨م" وهو يشرح سرعة انتشار حركة جمعية الاتحاد والترقي في مدينة سلانيك:

"لم يمض وقت طويل على المتآمرين في سلانيك وهي مركز النشاط حتى اكتشفوا فائدة منظمة أخرى وهي الماسونية، ولما كان يصعب على عبد الحميد أن يعمل هنا بنفس الحرية التي كان يتمتع بها في الأجزاء الأخرى من الإمبراطورية فإن المحافل الماسونية القديمة في تلك المدينة استمرت تعمل دون انقطاع ــ بطريقة سرية طبعاً ــ وضمت إلى عضويتها عدداً ممن كانوا يرحبون بخلع عبد الحميد."

ثم يقول "ويؤكد لنا دارس آخر أنه في حوالي سنة ١٩٠٠ قرر "المشرق الأعظم" الفرنسي (أي المحفل الماسوني الفرنسي) إزاحة السلطان عبد الحميد وبدأ يجتذب لهذا الغرض حركة تركيا الفتاة منذ بداية تكوينها. ثم إن محللاً آخر يلاحظ: يمكن القول بكل تأكيد إن الثورة التركية (أي حركة جمعية الاتحاد والترقي) كلها تقريباً من عمل مؤامرة يهودية ماسونية".

ويقول "سيتون واطسون" في كتابه "نشأة القومية في بلاد البلقان": "إن أعضاء تركيا الفتاة ــ الذين كان غرب أوروبا على اتصال دائم معهم ــ كانوا رجالاً منقطعين وبعيدين عن الحياة التركية وطراز تفكيرها لكونهم قضوا ردحاً طويلاً من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الزمن في المنفى، وكانوا متأثرين وبشكل سطحي بالحضارة الغربية وبالنظريات غير المتوازنة للثورة الفرنسية. كان كثير منهم أشخاصاً مشبوهين، ولكنهم كانوا دون أي استثناء رجال مؤامرات لا رجال دولة، ومدفوعين بدافع الكراهية والحقد الشخصي لا بدافع الوطنية. والثورة التي أنجزوها كانت نتاج عمل مدينة واحدة وهي مدينة سلانيك إذ نمت وترعرعت فيها وتحت حماية المحافل الماسونية "جمعية الاتحاد والترقي" وهي المنظمة السرية التي بدلت نظام حكم عبد الحميد.

وكما كان عهد الاتحاديين هو العهد الذهبي بالنسبة لليهود الراغبين في الهجرة إلى فلسطين كذلك كان العهد الذهبي في فتح المحافل الماسونية في طول البلاد وعرضها في الدولة العثمانية. يقول فخر البارودي في مذكراته واصفاً وضع دمشق بعد وصول الاتحاد والترقي إلى الحكم: "وقد ساعد الاتحاديين على نشر دعايتهم اللوج ــ أي المحفل ــ الماسوني الذي كان مغلقاً قبل الدستور" ثم يقول: "وبعد الانقلاب فتح المحفل أبوابه، وجمع الأعضاء شملهم وأسسوا محفلاً جديداً أسموه محفل "نور دمشق" وربطوه بالمحفل الإسكتلندي"

ولكي نعرف مكانة المحافل الماسونية لدى أعضاء جمعية الاتحاد والترقي نسوق هنا اعتراف أحد أعضائهم: "كان هناك نوعان من الأعضاء في الجمعية: أحدهما مرتبط بالمحفل الماسوني وهذا كنا نطلق عليه اسم الأخ من الأب والأم، وآخر غير مرتبط بالمحفل الماسوني، فكنا نطلق عليه اسم الأخ من الأب فقط". وفي كتاب نشره الماسونيون في تركيا تحت عنوان "الماسونية في تركيا وفي العالم" يتحدث عن دور المحافل الماسونية في إنجاح حركة الاتحاديين: "وقد انتشرت الماسونية بشكل خاص في سلانيك وحواليها. ومع أن عبد الحميد حاول أن يحد ويشل الحركة الماسونية هناك، إلا أنه لم يوفق في مسعاه"، "وقد قامت هذه المحافل، لاسيما محفل "ريزورتا" ومحفل "فاريتاس" بدور كبير في تأسيس وتوسيع حركة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جمعية الاتحاد والترقي، كما كان للماسونيين دورهم في "إعلان الحرية" سنة ١٩٠٨م(١٨٨).

موقف الإسلام من الماسونية:

إن الماسونية تعادي الأديان جميعاً، وتسعى لتفكيك الروابط الدينية، وهز أركان المجتمعات الإنسانية، وتشجع على التفلت من كل الشرائع والنظم والقوانين. وقد أوجدها حكماء صهيون لتحقيق أغراض التلمود وبروتوكولاتهم، وطابعها التلون والتخفي وراء الشعارات البراقة، ومن والاهم أو انتسب إليهم من المسلمين فهو ضال أو منحرف أو كافر، حسب درجة ركونه إليهم وقد أصدرت لجنة الفتوى بالأزهر بياناً بشأن الماسونية والأندية التابعة لها مثل الليونز والروتاري جاء فيه " يحرم على المسلمين أن ينتسبوا لأندية هذا شأنها وواجب المسلم ألا يكون إمعة يسير وراء كل داع وناد بل واجبه أن يمتثل لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول: " لا يكن أحدكم إمعة يقول: إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم " وواجب المسلم أن يكون يقظاً لا يغرر به، وأن يكون للمسلمين أنديتهم الخاصة بهم، ولها مقاصدها وغاياتها العلنية، فليس في الإسلام ما نخشاه ولا ما نخفيه والله أعلم).

رئيس الفتوى بالأزهر

عبد الله المنشد

---

(١٨٨) انظر: الموسوعة الميسرة ج١ ص ٥١٣ وما بعدها ، والمذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها ص ٢٥ وما بعدها ،والعقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية د / سعد الدين صالح ص ٢٣٥ وما بعدها. وموقع أبو إسلام أحمد عبد الله. ومكايد يهودية عبر التاريخ / عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٢٢٢ ــ ٢٢٦ بتصرف وأيضا ما جاء في حلقة في قناة الجزيرة تحت عنوان سري للغاية تقديم يسري فودة بتاريخ ٢/ ٩/ ١٩٩٩م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما أصدر المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي فتوى أخرى جاء فيها - " وقد قام أعضاء المجمع بدراسة وافية عن هذه المنظمة الخطيرة، وطالع ما كتب عنها من قديم وجديد، وما نشر من وثقائها فيما كتبه ونشره أعضاؤها، وبعض أقطابها من مؤلفات، ومن مقالات في المجلات التي تنطق باسمها وقد تبين للمجمع بصورة لا تقبل الريب من مجموع ما اطلع عليه من كتابات ونصوص ما يلي:

١ــ أن الماسونية منظمة سرية تخفي تنظيمها تارة وتعلنه تارة، بحسب ظروف الزمان والمكان، ولكن مبادئها الحقيقية التي تقوم عليها هي سرية في جميع الأحوال محجوب علمها حتى على أعضائها إلا خواص الخواص الذين يصلون بالتجارب العديدة إلى مراتب عليا فيها

٢ــ أنها تبني صلة أعضائها بعضهم ببعض في جميع بقاع الأرض على أساس ظاهري للتمويه على المغفلين وهو الإخاء والإنساني المزعوم بين جميع الداخلين في تنظيمها دون تمييز بين مختلف العقائد والنحل والمذاهب

٣ــ أنها تجذب الأشخاص إليها ممن يهمها ضمهم إلى تنظيمها بطريق الإغراء بالمنفعة الشخصية، على أساس أن كل أخ ماسوني مجند في عون كل أخ ماسوني آخر، في أي بقعة من بقاع الأرض، يعينه في حاجاته وأهدافه ومشكلاته، ويؤيده في الأهداف إذا كان من ذوي الطموح السياسي ويعينه إذا وقع في مأزق من المآزق أيا كان على أساس معاونته في الحق لا الباطل. وهذا أعظم إغراء تصطاد به الناس من مختلف المراكز الاجتماعية وتأخذ منهم اشتراكات مالية ذات بال.

٤ــ إن الدخول فيه يقوم على أساس احتفال بانتساب عضو جديد تحت مراسم وأشكال رمزية إرهابية لإرهاب العضو إذا خالف تعليماتها والأوامر التي تصدر إليه بطريق التسلسل في الرتبة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٥ـ أن الأعضاء المغفلين يتركون أحراراً في ممارسة عباداتهم الدينية وتستفيد من توجيههم وتكليفهم في الحدود التي يصلحون لها ويبقون في مراتب دنيا، أما الملاحدة أو المستعدون للإلحاد فترتقي مراتبهم تدريجياً في ضوء التجارب والامتحانات المتكررة للعضو على حسب استعدادهم لخدمة مخططاتها ومبادئها الخطيرة.

٦ـ أنها ذات أهداف سياسية ولها في معظم الانقلابات السياسية والعسكرية والتغييرات الخطيرة ضلع وأصابع ظاهرة أو خفية.

٧ـ أنها في أصلها وأساس تنظيمها يهودية الجذور ويهودية الإدارة العليا والعالمية السرية وصهيونية النشاط.

٨ـ أنها في أهدافها الحقيقة السرية ضد الأديان جميعها لتهديمها بصورة عامة وتهديم الإسلام بصفة خاصة.

٩ـ أنها تحرص على اختيار المنتسبين إليها من ذوي المكانة المالية أو السياسية أو الاجتماعية أو العلمية أو أية مكانة يمكن أن تستغل نفوذاً لأصحابها في مجتمعاتهم، ولا يهمها انتساب من ليس لهم مكانة يمكن استغلالها، ولذلك تحرص كل الحرص على ضم الملوك ولرؤساء وكبار موظفي الدولة ونحوهم.

١٠ـ أنها ذات فروع تأخذ أسماء أخرى تمويهاً وتحويلاً للأنظار لكي تستطيع ممارسة نشاطاتها تحت الأسماء إذا لقيت مقاومة لاسم الماسونية في محيط ما، وتلك الفروع المستورة بأسماء مختلفة من أبرزها منظمة الروتاري والليونز. إلى غير ذلك من المبادئ والنشاطات الخبيثة التي تتنافى كلياً مع قواعد الإسلام وتناقضه مناقضة كلية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد تبين للمجمع بصورة واضحة العلاقة الوثيقة للماسونية باليهودية الصهيونية العالمية، وبذلك استطاعت أن تسيطر على نشاطات كثيرة من المسئولين في البلاد العربية وغيرها، في موضوع قضية فلسطين، وتحول بينهم وبين كثير من واجباتهم في هذه القضية المصيرية العظمى، لمصلحة اليهود والصهيونية العالمية.

لذلك ولكثير من المعلومات الأخرى التفصيلية عن نشاط الماسونية وخطورتها العظمى وتلبيساتها الخبيثة وأهدافها الماكرة يقرر المجمع الفقهي اعتبار الماسونية من أخطر المنظمات الهدامة على الإسلام والمسلمين وأن من ينتسب إليها على علم بحقيقتها وأهدافها فهو كافر بالإسلام مجانب أهله[١٨٩].

---

(١٨٩) انظر: الموسوعة الميسرة ج١ ص٥١٧ــ ٥١٩. مرجع سابق.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخاتمة

وبعد:

فهذه بعض صفحات حول الغزو الفكري وأهدافه وطرقه، تبين من خلالها أهداف وأساليب أعداء الأمة في مواجهة الإسلام وأهله، ونحن لا نلومهم عليها، وإنما نتوقع منهم الكثير والكثير، إنما اللوم كل اللوم على بعض أبناء الأمة الذين ارتضوا لأنفسهم أن يكونوا أداة في أيد هؤلاء الأعداء، وعونا لهم على تنفيذ خططهم، واللوم كل اللوم على البعض الآخر الذين ساعدوا أعداء الأمة بتقصيرهم في حق دينهم حتى غدوا صيدا سهلا لهؤلاء الأعداء المتربصين بهم.

ومن ثم فلم يكن استضعاف الأمة بسبب هذه الهجمة الشرسة من أعدائه وحدها، بل هناك أسباب أخرى نبعت من المسلمين أنفسهم، وقد استمد الأعداء قوتهم من خوار الأمة وضعفها، وعندما تنهض أمتنا وتتمسك بعقيدتها وشريعتها المنزلة من عند الله تعالى سوف تذهب كل أساليب أعدائهم أدراج الرياح.

إن هذه الهجمة الشرسة تحتاج إلى مواجهة صحيحة، تنبني على عمل يعمل، لا كلام يقال، إن العلمانيين والمنصريين والقوميين والمستشرقيين والصهاينة ليعملون ونحن لا نعمل. وإذا رغبنا في مواجهتهم لإنقاذ الأمة من خطرهم، فلابد أن يكون عملنا أكثر من عملهم، وجهدنا أضعاف جهدهم، وحركتنا أسرع من تحركهم.

إن مواجهة هؤلاء تحتاج إلى تخطيط، وتنظيم، وتكاتف جهود، واتساع مواقع، وتعرف دقيق على خطط أعداء الأمة، فإذا ما قام أبناء الأمة المخلصون بواجبهم، كان ذلك بداية في طريق طويل.

أما أن يترك بعض ضعفاء الأمة، وبعض شباب الأمة، ونساء الأمة وغيرهم، يفترسهم الأعداء من كل جانب، فإن ذلك أمر بالغ الخطورة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإذا كان أعداء الأمة يبتكرون مؤتمرات محلية ودولية، ويشرفون على معاهد علمية، وجمعيات بمسميات متباينة، فلماذا لا يكون للمخلصين من أبناء الأمة دور في إيجاد مؤتمرات دعوية إسلامية، ومؤتمرات مواجهة للرد والتفنيد والمواجهة، ولا يقتصر الدور فيما لهم من المؤتمرات على الاجتماع، ثم الانفضاض دون أي تأثير، فمثل هذه المؤتمرات كالمظاهرات في الشارع، تحتوي على تصفيق وكلام، ثم ينفض الجمع ويدخل كل إلى بيته.

إن الأمة في حاجة إلى مؤتمرات لا تكون توصياتها وقراراتها حبرا على ورق، وإنما أعمال تعمل في دقة وتخطيط.

فالأمة تعاني من تسلط الغزو الفكري في سائر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، التي غزت الشوارع والبيوت، حتى مسخت بعض عقول أبناء الأمة، فتراهم يعيشون بيننا، ويتحدثون بلغتنا، لكنهم في أفكارهم وأعمالهم ومظاهرهم صورة ممسوخة بتأثير هذا الغزو الفكري.

وليس من المبالغة القول بأن أعداء الإسلام قد نجحوا في السيطرة على الأجهزة الإعلامية في بعض الدول الإسلامية، سواء أكانوا من العلمانيين، أم القوميين، أم المحتلين، أم الصهاينة، أم المستشرقن المنصرين. وذلك عن طريق عملائهم الذين يديرون هذه المؤسسات، ولذا كان لابد من تطهير المؤسسات الإعلامية من هؤلاء العملاء المخدوعين الذين تربوا في مداس الغرب ومعاهده.

ولابد أن يتوجه النقد إلى أي أثر من آثار الغزو الفكري دون مجاملة أو مداهنة فالأمر جد خطير.

يجب أن نضع في اعتبارنا أن أي مجتمع إسلامي هو مجتمعنا دون إقليمية أو عنصرية أو حزبية أو قومية، وبهذا تتكاتف الجهود ونستطيع مواجهة هذه الهجمة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشرسة على أمتنا وثوابتها. فهل نتدارك هذه المواقف العدائية، ونتخطاها إلى مواقف المواجهة؟ يجدر بالأمة أن تتعرف على ما يأتي:

أولا: على الأمة أن تدرك تمام الإدراك أن أخطر ما استهدفه الغزو الفكري في برامجه التخريبية، هو هدم الشخصية الإسلامية: عقائديا، وثقافيا، وسلوكيا، وعاطفيا.

ولعل معاول الغزو الفكري التي أصابت كثيرا من أبناء الأمة، لم تؤثر إلا من جراء انهزام الشخصية المسلمة.

ولهذا كان لابد أن تتجه جهود الأمة إلى التربية، لأن المبادئ الإسلامية بمفاهيمها الأساسية، ومناهجها التربوية، تصنع شخصية متميزة لها سماتها وغاياتها الخاصة. لابد من اتجاه فريق من الدعاة والعلماء العاملين إلى تربية الأجيال، تربية إسلامية، تتولى المسؤولية والإدارة.

ثانيا: إن ما يقوم به أعداء الأمة في المجتمعات المسلمة المختلفة من أعمال يظن المخدوعون أنها خدمات جليلة، إنما هي خدمات استغلالية، يرجون من ورائها منفعة دنيوية تعود عليهم، فعلينا سد هذه الثغرات التي يأتون منها، كخدمة بناء المدارس في المجتمعات الفقيرة، أو المستشفيات، أو غيرها في الأماكن التي يكون الإنسان في أمس الحاجة إلى من يقدم له يد العون أو المساعدة بالعلم، والخبز، والعلاج، فإذا أراد المسلمون المواجهة العملية لهؤلاء المنصرين ومن على شاكلتهم فعليهم أن يقوموا بهذه الخدمات ليسدوا على الطامعين مرغبهم من وراء ذلك.

ثالثا: يجب أن تدرك الأمة أن هؤلاء الأعداء يملكون إمكانيات هائلة: مادية وبشرية، فمواجهتها لهذا الغزو وطرقه، يجب أن تتوفر لها مثل هذه الإمكانيات المادية والطاقة البشرية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رابعا: لابد من مواجهة الغزو الفكري بالتخطيط الـدقيق، المنفـذ بحكمـة وبصيرة، الموزع الأدوار، ليكون هناك التكامل الواعي.

خامسا: يجب على وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئيـة أن تقـوم بأمرين:

١ ــ التوقف عن بث ما يسيء للإسلام، أو يتنافى مع مبادئه، لأنه لا فائدة مـن مواجهة الغزو الفكري في الوقت الذي نجد فيه أجهزة الإعلام، تمور بما هو مخالف لآداب الإسلام وأخلاقه، من تقاليد غربية، وخلاعة بذيئـة، وعـري فاضح.

٢ ــ أن تواكب مؤسساتنا الإعلامية هذه الموجة الفكرية، فتتناولها، وتقـف مـن ورائها، وتعمل على مساعدتها بالتوجيه.

سادسا: العمل على إيجاد قنوات فضائية بمنهج إسلامي شامل، واسـتغلال الشبكة العنكبوتية (الانترنت) لأن أعداء الأمة يبثون عليها سمومهم، فيجـب علـى العلماء استغلال مثل هذه الوسيلة الإعلامية، لتفنيد الشبه، وتوضيح صورة الإسـلام للعالم الغربي.

سابعا: على أن يصاحب كل ما مضى هجوم، ونقد للأفكار الغربية التـي يبثها أعداء الأمة عن طريق الوسائل الإعلامية المتباينة، لتنتقل الأمة مـن مرحلـة المواجهة ــ الدفاع ــ إلى مرحلة النقد والهجوم..

نسأل الله أن يصلح قلوبنا، وأن يعرّفنا ذنوبنا، ويمنّ علينا بالتوبة منها، وأن يهدينا وسائر إخواننا سواء السبيل....إنه على كل شيء قديـر ..

المؤلف

مجدي عبد الغفار حبيب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أهـــم المـــراجع

القرآن الكريم:

(١) الاتجاهات الفكرية المعاصرة د / علي جريشة ط دار الوفاء للطباعة المنصورة ط / أولي س ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م

(٢) الاتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف الإسلام منها د/ جمعة الخـولي ص ٩٢ الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ مطابع الجامعة الإسلامية المدينة المنورة.

(٣) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر د/ محمد حسين ط/ دار الرسالة مكـة المكرمة الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

(٤) أجنحة المكر الثلاثة د / عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ط / بيـروت دار القلم س ١٩٧٧ م

(٥) احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام د- سعد الدين صـالح ط دار الأرقم الزقازيق.س ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م

(٦) احذروا الأساليب الحديثة في مواجه الإسلام د / سعد الدين صالح / دار الأرقم

(٧) أخطار الغزو الفكري علي العالم الإسلامي بحوث حول العقائـد الوافـدة د / صابر طعيمة ط / عالم الكتب

(٨) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي د / علي جريشة وحمد شريف الزيبـق ط / دار الاعتصام س ١٩٧٩ م

(٩) الاستشراق وجه للاستعمار الفكري الشيخ عبد المتعال الجبري ط / مكتبة وهبة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(١٠) الإسلام قوة الغد العالمية. باول شمتز ترجمة د/ محمد شامة القاهرة ١٣٩٤هـ (٢) (١١) الإسلام والتيارات المعاصرة د/ عبد المعطي بيومي، د/ محمد الشاعر

(١٢) الإسلام والحضارة العربية حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة د / جميل عبده محمد المصري مكتبة العبيكان

(١٣) الإسلام والعلمانية وجها لوجه د / يوسف القرضاوي ط / مكتبة وهبة ..

(١٤) الإسلام ومستقبل البشرية د/ عبد الله عزام

(١٥) أضواء علي الثقافة الإسلامية د/ نادية شريف العمري مؤسسة الرسالة الطبعة التاسعة س ١٤١٩ ه / ١٩٩٨ م.

(١٦) أضواء علي الحضارة الإسلامية د/ أحمد السايح ص ٧٨ ط دار اللواء بالرياض س ١٤٠١ ه س ١٩٨١ م .

(١٧) إنتاج المثقفين وأثره في الفكر الإسلامي للأستاذ / مالك بن نبي ط دار الإرشاد بيروت س ١٩٦٩ م

(١٨) الإيمان لابن تيمية ط/ دار الطباعة المحمدية بالقاهرة.

(١٩) الإيمان والحياة د / يوسف القرضاوي ط/ مؤسسة الرسالة الطبعة التاسعة عشر ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

(٢٠) التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية د/ أحمد شلبي ط/ مكتبة النهضة المصرية ط١ / ١٩٧٢م.

(٢١) التبشير والاستعمار لعمر فروخ والخالدي ط المكتبة العصرية .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٢٢) تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل فضيلة الشيخ محمد الغزالي ط دار الشروق بيروت

(٢٣) تهافت العلمانية د/ عماد الدين خليل ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

(٢٤) الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة د يوسف القرضاوي ط مكتبة وهبة ط أولي س ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م

(٢٥) جذور العلمانية د/ السيد أحمد فرج. طبعة دار الوفاء المنصورة الطبعة الخامسة ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

(٢٦) جهاد المسلمين في الحروب الصليبية د / فايد عاشور مؤسسة الرسالة ط١ ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

(٢٧) الحضارة الإسلامية والحضارة الأوربية د / توفيق الطويل ط مكتبة التراث الإسلامي مصر س ١٩٩٠ م

(٢٨) الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية د توفيق الواعي ط دار الوفاء.المنصورة س ١٤٠٨ هـ.القاهرة .

(٢٩) حضارة العرب د / غوستاف لوبون ترجمة عادل زعيتر ط / ثانية س ١٩٤٧ م

(٣١) الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا د/ يوسف القرضاوي ط/ مكتبة وهبة.

(٣٢) خصائص التصور الإسلامي الأستاذ سيد قطب ط/ دار الشروق

(٣٣) رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر الأستاذ محمد قطب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٣٤) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي د / مصطفي السباعي ١٨٨ ط / دار المكتب الإسلامي بيروت ودمشق س ١٣٩٨ ه ١٩٧٨ م.

(٣٥) سيرة ابن هشام ط/ دار الكتب العلمية بيروت،

(٣٦) السيرة النبوية تربية أمة وبناء دولة / صالح أحمد الشامي ص ١٥٥ ط/ المكتب الإسلامي

(٣٧) السيرة النبوية دروس وعبر د/ مصطفى السباعي ط/ المكتب الإسلامي س ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

(٣٨) شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي / أ.أنور الجندي

(٣٩) شرح العقيدة الطحاوية لأبي العز الدمشقي تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، وشعيب الأرناؤوط ط/ مؤسسة الرسالة.

(٤٠) العرب والإسلام الأستاذ / أبو الحسن الندوي ط المكتب الإسلامي بيروت ط ٣ س ١٤٠١ هـ

(٤١) العصرانية في حياتنا الاجتماعية د/ عبد الرحمن الزنيدي، دار المسلم الرياض ط/ ١، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤م.

(٤٢) العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية د / سعد الدين صالح ط/ دار الصفا القاهرة الطبعة الثانية ١٩٩٠م

(٤٣) العلمانية لسفر عبد الرحمن الحوالي جامعة أم القرى ـ الكتاب ٢٥ ـ دار مكة ـ مكة ط١ / ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

(٤٤) العلمانية المنشأ والأثر في الشرق والغرب / زكريا فايد ط/ ١، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨م ط/ الزهراء للأعلام العربي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٤٥) الغزو الثقافي للأمة الإسلامي ماضيه وحاضره / منصور بن عبد العزيز الخريجي ط دار الصميعي للنشر والتوزيع ٠

(٤٦) الغزو الفكري د/ مجدي الصافوري بحث مستل من حولية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا العدد الحادي عشر س ١٤٢١هـ ٢٠٠م.

(٤٧) الغزو الفكري أهدافه ووسائله د/ عبد الصبور مرزوق. الطبعة الثالثة ط/ رابطة العالم الإسلامي. إدارة الصحافة والنشر.

(٤٨) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام د/ علي عبد الحليم محمود بتصرف طـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية س ١٤٠٤ هـ - س ١٩٨٤ م

(٤٩) الغزو الفكري وهم أم حقيقة مجمد عمارة طـ الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف. ١٩٨٨م

(٥٠) فقه السيرة النبوية / منير محمد الغضبان ط/ مركز بحوث الدراسات الإسلامية مكة المكرمة ف الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر د / محمد البهي

(٥١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار د / محمد البهي

(٥٢) في الغزو الفكري د/ أحمد السايح كتاب الأمة العدد ٣٨ شعبان ١٤١٤هـ

(٥٣) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم موريس بوكاي دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ط / دار المعارف س ١٩٧٩ م

(٥٤) قصة الحضارة / ديورانت ج١٤.ترجمة محمد بدران. نشر الإدارة العربية في جامعة الدول العربية، مطابع الدجوي القاهرة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٥٥) القوى الخفية في السياسة العالمية / ل. فراي ـــ ترجمة محمد كمال ثابت ط/ دار الكتاب العربي بيروت.

(٥٦) الكشاف الفريد عن معاول الهدم ونقائض التوحيد خالد محمد علي الحاج. دولة قطر ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

(٥٧) كواشف زيوف لعبد الرحمن الميداني ط / دار القلم طبعة أولى ١٤١٢هـ ١٩٨٥م

(٥٨) لسان العرب لابن منظور ط/ دار المعارف.

(٥٩) لمحات في الثقافة الإسلامية / عمر عودة الخطيب ط مؤ

(٦٠) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ الأستاذ / أبو الحسن الندوي ط مكتبة السنة س ١٩٩٠م / ١٤١٠ هـ.

(٦١) الماسونية العالمية وموقفها من الإنسان والأديان د / عابد منصور مطبعة الأمانة ط / ١٩٨٨م

(٦٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة جمع وترتيب وإشراف د/ محمد بن سعد الشويعر الطبعة الرابعة ١٤٢٣هـ ط/ رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء.

(٦٣) مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب. الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م. م

(٦٤) محاضرات في النصرانية لأبي زهرة ط / دار الفكر العربي ط/ ٣ ١٣٨١ هـ.

(٦٥) مختار الصحاح للرازي ط بيروت مكتبة الهلال

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٦٦) المد الإسلامي في القرن الخامس عشر الهجري.الأستاذ / أنور الجنـــدي ص ٢٦ ط / دار الاعتصام بالقاهرة س ١٩٨٢ م.

(٦٧) المدخل إلي الثقافة الإسلامية د / محمد رشاد سالم ط/ دار القلم س ١٤٠٧ ه / ١٩٨٧ م

(٦٨) المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها د / عبد الرحمن عميـــرة ط / دار اللواء السعودية

(٦٩) مذاهب فكرية معاصرة الأستاذ محمد قطب طبعة دار الشروق الطبعة الأولى عام ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

(٧٠) المسلمون أمام تحديات الغزو الفكري: إبراهيم نعمة ط شركة معمل ومطبعة الزهراء الحديثة المحدودة العراق س ١٩٨٦ م

(٧١) المسيحية د/ أحمد شلبي ط/ مكتبة النهضة المصرية القاهرة.

(٧٢) معالم تاريخ الإنسانية. هـــ. ج. ولز. ت: عبد العزيز جاويـــد، القـــاهرة ط/ أولى ١٩٥٠م.

(٧٣) معجم المعلم بطرس البستاني

(٧٤) معارك حاسمة في حياة المسلمين د / أحمد عبد الرحيم السايح ط دار اللـــواء بالسعودية س ١٤٠٩ ه.

(٧٥) م المعجم الوسيط ((مجمع اللغة العربية)) مطبعة مصر.

(٧٦) معجم العلوم الاجتماعية – نخبة من العلماء المصرين والعرب ط / الهيئـــة المصرية العامة للكتاب س ١٩٥٧ م

(٧٧) معجم لغة الفقهاء.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٧٨) مع الله دراسات في الدعوة والدعاة الشيخ محمد الغزالي ط/ دار الكتب الإسلامية الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

(٧٩) مكايد يهودية عبر التاريخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني الطبعة الثالثة ط/ دار القلم دمشق بيروت

(٨٠) الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة / ناصر القفاري وزميله ط/ ١ س ١٤١٣هـ ١٩٩٢م دار الصميعي للنشر بالرياض

(٨١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ. إشراف وتخطيط ومراجعة د / مانع بن حماد الجهني الطبعة الثالثة طـ دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي..

(٨٢) http.www.webadh.com موقع أبو إسلام أحمد عبد الله على الانترنت.

(٨٣) نظرات في الثقافة الإسلامية / عز الدين الخطيب وآخرين بتصرف.ط دار الفرقان عمان س ١٤٠٤ ه س ١٩٨٤ م الأردن .

(٨٤) هذا الدين الأستاذ سيد قطب ص٨٣ ط/ دار الشروق.

(٨٥) واقعنا المعاصر الأستاذ محمد قطب ط مؤسسة المدينة جدة س ١٤٠٧هـ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner